البيان

العدد 555 أكتوبر 2016

مجلة أدبية ثقافية شهرية تصدر
عن رابطة الأدباء الكويتيين

(صدر العدد الأول في أبريل 1966)

موقع رابطة الأدباء على الإنترنت
WWW.KuwaitWriters.org

البريد الإلكتروني
ELBYAN@ hotmail.com

وزارة الإعلام – مطبعة حكومة دولة الكويت

مجلة (البيان) مجلة أدبية ثقافية ، تصدر عن رابطة الأدباء في الكويت، وتعنى بنشر الأعمال الإبداعية والبحوث والدراسات في مجالات الآداب والعلوم الإنسانية، ويتم النشر فيها وفق القواعد التالية:

1 . أن تكون المادة خاصة بمجلة البيان وغير منشورة أو مرسلة إلى جهة أخرى.

2 . المواد المرسلة تكون مطبوعة ومدققة لغويا ومرفقة بالأصل إذا كانت مترجمة.

3 . يفضل إرسال المادة محملة على CD أو بالإيميل.

4 . موافاة المجلة بالسيرة الذاتية للكاتب مشتملة على الاسم الثلاثي والعنوان ورقم الهاتف ورقم الحساب المصرفي.

5 . المواد المنشورة تعبرّ عن آراء أصحابها فقط.

ثمن العدد

الكويت: ٥٠٠ فلس، البحرين: ٧٥٠ فلسا، قطر: ٨ ريالات، دولة الامارات العربية المتحدة: ٨ دراهم، سلطنة عمان: ريال واحد، السعودية: ٨ ريالات، الأردن: دينار واحد، سورية: ٥٠ ليرة، مصر: ٣ جنيهات، المغرب ١٠ دراهم.

الاشتراك السنوي

للأفراد في الكويت ١٠ دنانير.
للأفراد في الخارج ١٥ ديناراً أو ما يعادلها.
للمؤسسات والوزارات في الداخل ٢٠ ديناراً كويتياً.
للمؤسسات والوزارات خارج الكويت ٢٥ ديناراً كويتياً أو ما يعادلها.

المراسلات

رئيس تحرير مجلة البيان ص.ب 34043 العديلية ـ الكويت
الرمز البريدي 73251 ـ هاتف المجلة: 22518286 +965
هاتف الرابطة: 22518282/25106022 ـ فاكس: 22510603

Al Bayan

LITERARY JOURNAL ISSUED
BY KUWAIT WRITERS ASSOCIATION
(555) October 2016

Editor in chief

Talal Saad Alrumaidhi

Correspondence Should be Addresses to:

The Editor,
Al Bayan Journal
P.O.Box: 34043 Audilyia - Kuwait
Code: 73251 - Fax: +965 22510603
Tel.: (Journel) +965 22518286 - 22518282 - 22510602

المحتوى

كلمة البيان

دراسات

قراءات

مقالات

مسرح

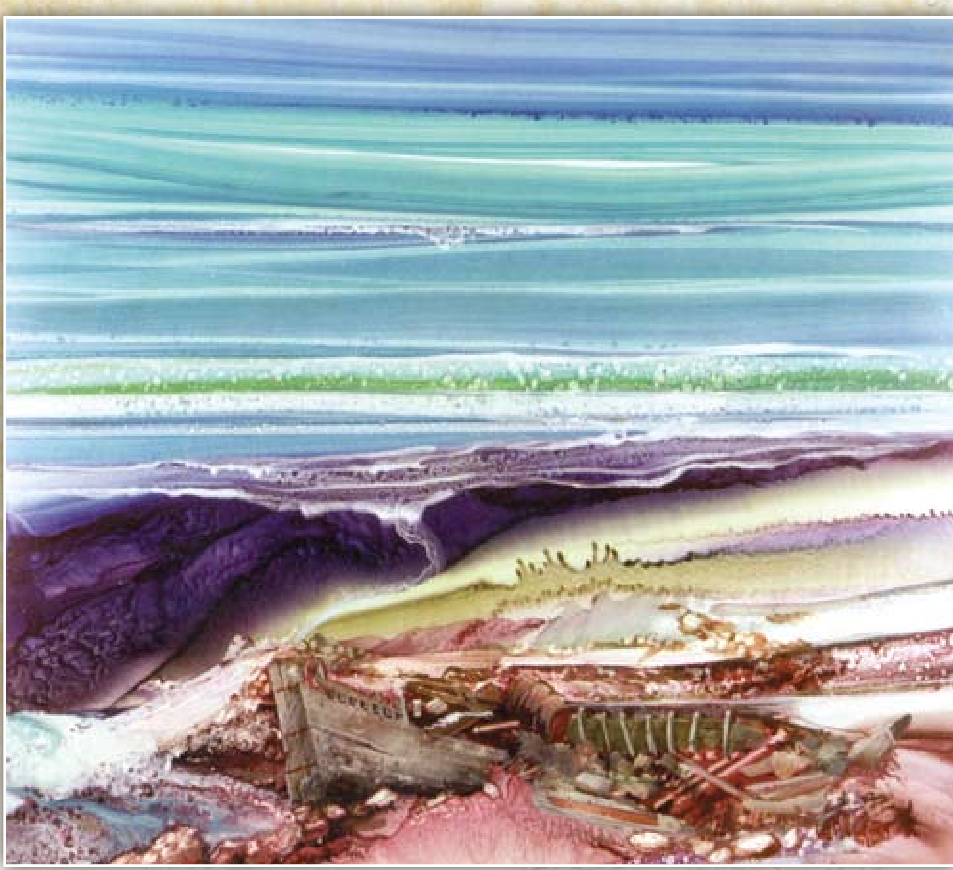
المحتوى

قصة

شعر

محطات قلم

كلمة البيان



اللوحة بريشة الفنان جعفر دشتي

ثلاثة أعلام متميزة من الكويت

تواالت الإنجازات الأدبية الكويتية في الأيام الماضية، وتخطت هذه الإنجازات الحدود المحلية لتصل إلى العربية فالعالمية. حيث حصل الشاعر المفكر الدكتور خليفة الوقيان على جائزة القدس التي يمنحها الاتحاد العام للأدباء العرب، وهي من أرفع الجوائز التي يمنحها الاتحاد سنويا. كما تم إطلاق اسم الشاعر عبدالعزيز سعود البابطين رئيس مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين الثقافية على أقدم كراسي اللغة العربية وأعرقها في جامعة أكسفورد هو كرسي لوديان الذي أنشئ عام ١٦٣٦م كما حصل الشاعر فاضل خلف على الوسام الوطني للاستحقاق من الصنف الأول من الرئيس التونسي الباجي القايد السبسي.

لو تأملنا هذه الإنجازات الثلاثة، لوجدنا أن هناك عدة عوامل مشتركة بين أصحابها، فهم من الأجيال المخلصة التي اشتغلت بهمة ونشاط لإعلاء اسم الثقافة الكويتية في المحافل العربية والعالمية. والعامل المشترك الأول بينهما هو الشعر الذي انطلقوا منه.

فالأديب خليفة الوقيان الذي بدأ حياته بكتابة الشعر، لم يتوقف عند هذا الحد، بل أصبح باحثاً ومؤرخاً ومفكراً، قدم للمكتبة العربية الكثير من الكتب القيمة التي تحمل عصارة فكره وتأملاته في الواقع

العربي، وقد تحققت أفكاره التي كانت سابقة لكل الأحداث التي تجري اليوم، فهو الذي تحدث قبل سنوات طويلة عن الإرهاب الفكري وحذر منه إلى أن وجدنا هذا المصطلح متجسداً أمامنا بشتى معانيه، كما أخلص الدكتور الوقيان إلى معاناة الشعب الفلسطيني وطرحها فكراً وشعراً، فكان أن استحق جائزة القدس عن جدارة.

أما الشاعر عبدالعزيز سعود البابطين، فقد أنشأ مؤسسة ثقافية تعد اليوم من أهم المؤسسات العالمية التي تحولت أيضاً من الشعر إلى الفكر، ومن تقديمها لجوائز في الشعر إلى فتحها آفاق جديدة في حوار الثقافات والحضارات، فأصبح اسمها مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين الثقافية بعد أن كانت فقط للإبداع الشعري، وترتب على ذلك إقامة هذه المؤسسة للكثير من المؤتمرات والدورات في حوار الحضارات حول العالم برعاية رؤساء الدول وجهات مرموقة مثل الأمم المتحدة وجامعات عريقة، فكان إطلاق اسم عبدالعزيز على كرسي لوديان للغة العربية هو ثمرة غرس يمتد عمره لأكثر من ثلاثين عاماً أمضاها البابطين في نشر الفكر والثقافة حول العالم.

وتتجه بوصلة الكلام نحو الشاعر فاضل خلف الذي كتب أيضاً القصة والمقالة واستغل عمله الدبلوماسي في تونس لخدمة الأدب فكان خير سفير للثقافة الكويتية هناك، كما خلّد جماليات تونس ونشر ثقافتها وكتب عن معالمها ووثق لشخصياتها وأبرزهم شاعر تونس الشهير الشابي. وأسس للعلاقات الثقافية بين دولة الكويت والجمهورية التونسية حتى رسخ في ذاكرة أهلها فاستحق الوسام

الذي منحه إياه الرئيس الباجي القايد السبسي.

إذاً نحن أمام ثلاثة نماذج متميزة من أعلام الثقافة في الكويت، أشخاص تعبوا على أنفسهم وأخلصوا لوطنهم وفردوا أجنحة أفكارهم حتى وصولوا بوطنهم إلى العالمية. فهم من موقعهم ومن الجوائز والتكريمات التي حصلوا عليها لم يمثلوا أنفسهم فقط، بل مثلوا منظومة ثقافية كويتية شاملة، نأمل من الأجيال اللاحقة أن تقتدي بهم كي يستمر العطاء.

البيان

دراسات



اللوحة بريشة الفنانة آلاء الفزيع

أثر الثقافة الإسلامية والعربية في ديوان لغات الترك

بقلم: د.شحاتة أبو شوشة *

يمتد تاريخ الأمة المسلمة امتداد جغرافيتها العالمية، وما تركته في ذاكرة التاريخ من علوم وثقافة ومعارف وحضارة لهو أعمق أثر وأكثر توهجاً في ذاكرة الإنسانية من كثير من الأمم الأخرى، وقد بذل مجهود كبير في الكشف عن جنبات هذه العلوم والثقافة ومجالاتها منذ عشرات السنين، وهانحن نكشف عن عمل علمي لأحد عظماء الأمة وفلاسفتها اللغويين الذين خلدت أعمالهم ذكرهم في العالمين.

أما العمل فهو (ديوان لغات الترك) وأما صاحبه فهو الفيلسوف اللغوي (محمود الكاشغري) الذي ترك لنا هذا الأثر العلمي العالمي الذي نحاول الكشف عن بعض محاوره العلمية والثقافية، لنضع لبنة في صرح إماطة اللثام عن أحد الأعمال العلمية الرائدة في مجال اللغة وفقه اللغة المقارن والثقافة والتاريخ والجغرافيا والعادات والتقاليد، لأمة الترك ذات التاريخ المتوهج والحضارة الأصيلة.

لقد ورثنا عن أجدادنا إرثاً ثقافياً، وتجربة إنسانية شاملة، وأماجد يجب التوقف عندها، ومسيرة ذات ظلال وارفة يجب استخلاص العبر منها، حتى نساهم في المعرفة الإنسانية، ونترك لأبنائنا ما يستلهمون منه تراثنا ومسيرتنا وتاريخنا، ويبنون لأنفسهم وللأجيال المقبلة مجدداً دعائمه أعز وأقوم.

التعريف بالعالم الكبير محمود الكاشغري:

* أكاديمي مصري.

محمود بن الحسين بن محمد الكاشغري(١) وقد اختلف في تاريخ مولده ووفاته، فمن قائل أنه ولد في (١٠٠٨م) وتوفى في (١١٠٥م) ومن قائل بأنه ولد في (١٠١٩م) وتوفى في (١١٣٤م).. وكما اختلف في تاريخ مولده ووفاته تتوزع في محل ميلاده، فمن قائل أنه ولد بقرية أوفال الواقعة ٤٥كم في الشمال الغربي لمدينة كاشغرفي تركستان الشرقية أو في مدينة برسقان القريبة من بحيرة إسيكول بقرغيزستان(٢).

وأوضح أن المتفق عليه أنه عاش في القرن الحادي عشر الموافق الخامس الهجري وأنه ابن منطقة آسيا الوسطى.

وهو من أسرة شريفة ذات مكانة اجتماعية وسياسية متميزة فقد كان والده من أحفاد خاقان الدولة القاراخانية يوسف قادرخان. وجلس والده فترة من الزمن في العرش في إحدى الولايات التابعة للقاراخانية.

وأما أمه فهي من جذور عربية اسمها (رابية بنت خواجه سيف الدين) وكانت ذات علم وثقافة، وكان لها الأثر الأكبر في ابنها محمود الكاشغري، وتنشئته تنشئة صالحة يفوق أقرانه، وقد أعطاها انشغال الأب بمهمات شؤون عرشه فسحة لتربيته وتثقيفه بما كانت تراه مناسباً لعصره ومستقبله.

وقد تعلم محمود الكاشغري الإبتدائية والمعارف العليا في كاشغر التي اشتهرت بمدينة العلم والثقافة في آسيا الوسطى وما يجاورها من البلدان في عهد الدولة القاراخانية. فدرس الفنون الاجتماعية وعلوم الطبيعة على السواء في المدن الكبرى مثل كاشغر وبلاساغون وبخارى وسمرقند وفاراب.

وفي هذا العصر نشأ الفلاسفة والعلماء والمفكرون أمثال الفارابي ويوسف خاص حاجب ومحمد بن الكاشغري وعماد الدين الكاشغري وحسين خلف الكاشغري وغيرهم.

---

(١) ينظر: ديوان لغات الترك: محمود الكاشغري: دار الخلافة العلية- مطبعة عامرة (١٣٣٣هـ).

(٢) مقال: محمد مهدي بيات (محمود الكاشغري.. رحلة العلم من الصين إلى بغداد (١١/٢/٢٠١١م).

ومقال: د. عبد الرحمن جمال الكاشغري (الفيلسوف اللغوي الأويغوري محمود الكاشغري صاحب (ديوان لغات الترك) ومقال: د. محمود إسماعيل (أعلام كاشغر وأشروسنة) رقم ١٤ ص١٤ مجلة العلم والتربية بجامعة محمود كاشغري ٢٠١٣م.

وتعلم محمود الكاشغري هناك اللغة العربية والفارسية وتاريخ الإسلام والفلسفة وعلوم أصول الدين(٣).

التعريف بالكتاب

وكان نتاج هذه التربية وتلك الدراسة والثقافة كتاب (ديوان لغات الترك) فهو أهم آثاره العلمية الخالدة وقد جمع فيه لغات (لهجات) شعوب وقبائل الترك وفسرها بالعربية وأهداه إلى خليفة المسلمين العباسي/ أبي القاسم عبد الله بن محمد المقتدي بأمر الله(٤).

ويعد ديوان لغات الترك معيناً صافياً لمن يريد الوقوف على ثقافة العالم الكبير محمود الكشغاري عموماً والعربية والإسلامية خصوصاً، بما يكشف عن التكوين الثقافي والإيماني لرجل عاش في القرن الخامس الهجري، ذاك العصر الذي صارت الثقافة العربية الإسلامية هي الرائدة عالمياً، وهي القائدة لثقافات وحضارات العالم عقوداً طوالاً.

ولمثل هذه الدراسة دور كبير أيضاً في إظهار تواصل الأمة الإسلامية في شتى بقاع الأرض، وبخاصة بين الأمتين الكبيرتين: الترك والعرب، فقد كانت الثقافة الإسلامية هي الحبل المتين الواصل بين الثقافتين، والرابط القوي بين الأمتين، وهذا أمر لا يمكن تجاهله لدى الباحثين في تراث هذا العالم الكبير.

وبخاصة وأنه حدد في مقدمة كتابه هدفه من تأليف هذا الديوان اللغوي المتميز بشموليته للغات (لهجات) الترك، ثم المقارنة بينها وبين اللغة العربية والفارسية أحياناً، وكان مما حده من أهداف واضحة(٥):

تعليم لغة الترك للعرب غير الناطقين بها، وهو بهذا العمل يجاري علماء العربية الأوائل الذين ألفوا في مختلف علوم العربية (علم النحو خاصة) لتعليم غير الناطقين بها من الأمم التي هداه الله للإسلام.

إظهار سعة ووفرة لغات الترك، وأنها لا تقل عن اللغة العربية شأناً، فهو يراهما كفرسي رهان، وهذا منه مقبول في مجال تحبيب لغات الترك إلى العرب وتشويقهم إلى التعرف عليها، والإقبال على تعلمها.

ويمكننا القول:

بأن الفيلسوف اللغوي محمود كشغاري أحسن في ذلك وأجاد، ومن دلائل ذلك ما سطره في ديوانه من ذكر ظاهر للغة العربية والثقافة الإسلامية على النحو الآتي:

---

(٣) ينظر: مقال د. عبد الرحمن الكاشغري (الفيلسوف اللغوي الأورغوري محمود الكاشغري صاحب (ديوان لغات الترك).

(٤) ينظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ج١/ص٨٠٨/ حاجي خليفة/ ت محمد شرف الدين/ دار إحياء التراث العربي/ بيروت- لبنان.

(٥) مقدمة لغات الترك: محمود كشغاري: ٣ دار الخلاف العلية- مطبعة عامره.

اسم الكتاب:

مما يلفت نظر الباحث في ميدان تأثر محمود كشغاري بالثقافة العربية والإسلامية، هو اختياره اسمٍ مؤلفه، فقد سماه اسماً عربياً خالصاً (ديوان لغات الترك) وعلل ذلك بقوله: (ليكون ذكراً مخلداً وذخراً مؤبداً) (٦). وهذا منه دال على عمق تأثره بمناهج تأليف اللغة العربية، والإقرار بمكانتها العالمية، وأن ما يكتب بمناهجها يخلد أبد الدهر.

كما أن التسمية العربية أليق بالهدف من الكتاب، وهو تعليم لغات الترك للعرب غير الناطقين بها، إذ الاسم علامة على صاحبه وعنوان له، فإذا كان مختاراً بعناية ودقيقاً في دلالته لفت الأنظار، وجذب ذوي الأفكار، وقد أبدع محمود كشغاري في تسمية كتابه، باختياره اسماً عربياً ليكون محبباً إلى العرب الذين قصدهم بتعلم لغات الترك، ومحركاً لبواعث حب التعلم والتعرف على لغات وثقافة الآخرين.

ولم يكن اسم الكتاب بالعربية فحسب، وإنما سلك منهجية عربية في أسماء كتبه (أبوابه) الثمانية، قائلاً: (واستعرت ألقاب هذه الكتب والأبواب من العربية اصطلاحاً لمعرفة الناس بها) ولم يكن اختياره هذا إلا لتسهيل تعلم اللغات التركية وتقريبها إلى طلابها، مفصحاً عن ذلك بقوله: لمعرفة الناس بها.

كما أنه شرح كتابة باللغة العربية، ليجعلها لغة وسيطة تحقق غرضه من الكتاب، وهي وسيلة يعمل بها في الكثير من مناهج تعليم اللغات لغير الناطقين بها، وإن كان يرى البعض- وأنا منهم- أن اللغة الوسيطة تضعف تعليم اللغات لغير الناطقين بها، وتقضي على تكوين بيئة لغوية ليعايش الطالب اللغة التي يتعلمها، فيكتسبها بصورة صحيحة من حيث الفهم والنطق بها في أسرع مدة زمنية، إلا أني أرى أن محمود كشغاري أجاد بسلوكه هذه الطريقة لأمور:

كونه سباقاً في هذا المجال.

عدم توفر المعلمين الذين يقومون على تعليم اللغات التركية للعرب في هذا الزمن الغابر.

إن اللغات التركية كانت تكتب بالخط العربي، ومن ثم لا يجد الطالب أو القارئ صعوبة في قراءة الكتاب لكونه بالخط الذي يعرفه ويتقن قراءته.

ومما يؤكد تأثره الشديد بالعربية ومناهجها قوله في مقدمته: (ولقد تخالج في صدري أن أبني الكتاب كما بنى الخليل كتاب العين وأذكر المستعمل والمهمل..) وبهذا ندرك سعة ثقافته واطلاعه على معاجم العرب ومناهجها، ومن هذا شأنه لا يجهل

(٦) ينظر: ديوان لغات الترك: محمود الكاشغري: دار الخلافة العلية- مطبعة عامرة (٥١٣٣٣).

تأثره بهم، وبما وصله من ثقافتهم، إلا أننا نظهر تفرده في منهجه الذي أبانه بقوله: (إلا أن هذا البناء أصوب. لما أن مأخذه أقرب. والناس فيه أرغب فأثبت المستعمل وأهملت المهمل طلباً للاختصار) ويعلن تميز منهجه قائلا: (وبرزت بتصنيف لم أسبق إليه، وتأليف لم يقف عليه) وهذا منه دال على مجهود كبير بذل، ووقت طويل ضحى به، ليصل ديوانه إلى غايته، وينال بين مؤلفات العربية ومكانته.

اللغة العربية زهرة الديوان:

وبجانب ما سبق ترى اللغة العربية جارية في الديوان جريان النسيم، ولها بين أسطره ظل ظليل، ففي ما يزيد عن المائة مرة ما بين كقول العرب، وفي لغة العرب، وكما في العربية، والعرب تقول، وكثرت الأسماء العربية والإسلامية كاسم خليفة المسلمين أبي القاسم عبد الله بن محمد المقتدي بالله، والخليل بن أحمد الفراهيدي، وذكر في أفضلية الترك، حدثنا به الشيخ أبو بكر المفيد الجرجرائي المعروف بابن أبي الدنيا في كتابه المؤلف في آخر الزمان.

وقال: وهو رجل من اليمن دون ذكر اسمه، وكذلك الوصف (الأخفش وعصام. (٧)

(٧) ديوان لغات الترك: ١/١١٠، ١٧٢، ١٩٦، ٢٢٠، ٢٦٠، ٢٩٤، ٣٤٢، ٢/ ٢٦، ٥٢، ١١٠، ٣/١٠٥.

القرآن الكريم :

لا يتصور أن مؤلفاً كبيراً لعالم لغوي مسلم مثل محمود كشغاري يخلو من أثر للذكر الكريم، فهو الملهم بالأساليب والمعاني والحكم والقيم التي تجعل للعمل العلمي قيمة ومنزلة بين الأعمال الكبرى.

وقد قمت بحصر آيات الذكر الحكيم في معجم (ديوان لغات الترك) فوجدتها جاءت كالتالي:

قال تعالى(٨):

(١) (وكلم الله موسى تكليماً) النساء/ ١٦٤.

(٢) (قد جعل ربك تحتك سريا) مريم/ ٢٤.

(٣) (إن مع العسر يسرا) الشرح/٦

(٤) (ثم ذهب إلى أهله يتمطى) القيامة/ ٣٣.

(٥) (وقد خاب من دساها) الشمس/ ١٠.

(٦) (وما رب العالمين) الشعراء/ ٢٣.

(٧) (لنسفعا بالناصية) العلق/ ١٥.

(٨) (فظلتم تفكهون) الواقعة/ ٦٥.

(٩) (كأنهم بنيان مرصوص) الصف/ ٤.

(١٠) (وآتت كل واحدة منهن سكيناً) يوسف/ ٣١.

(٨) ديوان لغات الترك: ١/٢٦، ٦٠، ١٠٠، ١٠١، ١١٨، ١٩٤، ٢٣٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٩٣.

(١١) (ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده) فاطر/٢.

(١٢) (إن هذا إلا اختلاق) الصف/٧.

(١٣) (أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون) الواقعة/٦٩.

(١٤) (هل أتى على الإنسان حين من الدهر) الإنسان ١.

(١٥) (لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم) التين/٤.

وقال تعالى(٩):

(١٦) (قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غورا) تبارك/٣٠.

(١٧) (فاقتلوا أنفسكم).

(١٨) (إن الإنسان ليطغى.أن رآه استغنى) العلق/ ٦،٧.

(١٩) (ومن قدر عليه رزقه) الطلاق/٧.

(٢٠) (وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه) الفجر/١٦.

وقال تعالى(١٠):

(٢١) (ما على الرسول إلا البلاغ) العنكبوت/١٨.

(٢٢) (فبهداهم اقتده) البقرة/٥٤.

(٢٣) (لم يتسنه) البقرة/٢٥٩.

(٢٤) (إنا أنزلناه) القدر/١.

(٩) السابق: ٢/٤٤، ١٢٦، ١٣٧.

(١٠) السابق: ٣/٣٦، ٨٣، ١٧٢، ٢٢١.

الاقتباس من القرآن الكريم:

لم يتأثر محمود كشغاري بالقرآن الكريم فيما ذكره من الآيات السابقة، وإنما اقتبس منه الكثير من معانيه، ومن ذلك ما جاء في العديد من شرحه للكلمات والعبارات التي بينها بالعربية في ديوانه أو اعتنى بدراستها لغوياً، من ذلك: (١١)

(١) والدال أدغمت في الدال كما يقال: (مدكر..) اقتباساً من قوله: (فهل من مدكر) القمر/٢٢.

(٢) كلمة تلهف كما يقال: «يا أسفا» اقتباسا من قوله: «يا أسفا على يوسف» يوسف/٨٤.

(٣) كيلا تستحي النسوة عند استعمالها ويقول عنها في المجلد الثاني: (وهو كناية عن الجماع) وهذا قريب من قوله: «أو لامستم النساء» النساء/٤٣.

(٤) جاز بالإحسان إحساناً من قوله: «هل جزاء الإحسان إلا الإحسان» الرحمن/٦٠.

(٥) شد بوثاق اقتباس من الجملة القرآنية: «فشدوا الوثاق» محمد/٤.

(٦) طوي الكتاب قريب من قوله: «يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب»

(١١) ينظر ديوان لغات الترك: ١/١٢٦، ١٥٠، ٢٥٨، ٣٧٣، ٤١٥- ٢/٢١، ٢٣، ١٠١، ١١٣، ١١٦، ١٢١، ١٦٤، ٢١٥، ٢٤٤- ٣/١٤، ٣٩، ٧٤، ١٠٠، ١٠١، ١٦٦، ٢١١.

الأنبياء/١٠٤.

(٧) كسفت الشمس.. وخسف القمر من قوله: «وخسف القمر. جمع الشمس والقمر» القيامة/ ٨،٩.

(٨) أن الرجل اهتم في أمر ودلك يده من الحياء والندم، وهذا ما أشار إليه قوله: « ويقلب كفيه على ما أنفق فيها» الكهف/٤٢.

(٩) جثا الرجل على ركبتيه اقتباس من قوله: «وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى إلى كتابها اليوم تجزون ماكنتم تعملون» الجاثية/٢٨.

(١٠) ماج القوم بعضهم في بعض من قوله: «وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض» الكهف/٩٩.

(١١) لما ذاق وبال أمره من قوله: (ليذوق وبال أمره) المائدة/٩٥.

(١٢) يتكور الليل على النهار من قوله: «يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل/ الزمر/٥.

(١٣) تعبير الرؤيا من قوله: «إن كنتم للرؤيا تعبرون» يوسف/٤٣.

(١٤) الله تعالى خلاق للأرض وغيرها من قوله: « ..وهو الخلاق العليم» يس/٨١.

(١٥) بلغ الرجل أرذل العمر من قوله: «ومنكم من يرد إلى أرذل العمر..» النحل/٧٠.

(١٦) اطمأن القلب من قوله: «ألا بذكر الله تطمئن القلوب» الرعد/٢٨.

(١٧) السليم القلب من قوله: «إلا من أتى الله بقلب سليم» الشعراء/ ٨٩.

(١٨) ومنه يقال للرجل إذا كان شكس الخلق من قوله: «ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون» الزمر/٢٩.

(١٩) حف الناس حوله من قوله: «وحففناهما بنخل» الكهف/٣٢.

(٢٠) وضع على سور المدينة بروجا تأثرا بقوله: «والسماء ذات البروج» البروج/١.

(٢١) الظل الظليل من قوله: «ظلا ظليلا» النساء/٥٧.

(٢٢) عريش الكرم من مضمون قوله: «جنات معروشات وغير معروشات»..../١٤١.

الحديث النبوي:

وإذا كان الأثر القرآني له حضوره وتأثيره في ديوان لغات الترك، فإن للحديث ذكراً أقل، ولعل سراً يكمن في أن القرآن يقرأه كل المسلمين عالمهم وطالب العلم وغيرهما، أما الحديث فله المتخصصون فيه، ويظهر أنه لم يكن محمود كشغاري من أهل هذا الميدان، وتتضح صحة رأيي هذا من قوله في مقدمته».

(١) ولقد سمعت عن ثقة من أئمة بخارا وإمام آخر من أهل نيسابور كلاهما رويا بإسناد لهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لما ذكر

أشـراط الـسـاعـة وفـتن آخـر الزمان وخـروج الترك الغزية فقال: «تعلموا لسان الـتـرك فـإن لهم ملكاً طوالاً» فـالـروايـة بـرفـع الـطـاء. فلـئن صح هذا الحديث والعهدة عليهما فيكون تعلمه واجبا ولئن لم يصح فالعقل يقتضيه»(١٢).

واستخدامه أداة الشرط (إن) دال على شكه في صحته، وقد حاولت جهدي الوصول إليه في أي مصدر للحديث فلم أوفق، مما يعني أنه غالباً ليس حديثاً، وقد جاء ذكر الترك في أكثر من حديث، لمن أراد ذلك فليرجع إلى كتب الحديث المعروفة.

(٢) وذكر في أفضلية الترك، حدثنا به الشيخ أبو بكر المفيد الجرجاني المعروف بابن أبي الدنيا في كتابه المؤلف في آخر الزمان بإسناده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه قال: يقول الله جل وعز إن لي جنداً سميتهم الترك وأسكنتهم المشرق. فإذا غضبت على قوم سلطتهم عليهم»(١٣). ولم أعثر له على صحة.

(٣) كما ذكـر حـديـث الـنـبـي صلى الله عليه وسلم: «مازالت أكلة خيبر تعاودني في كل عام حتى كان هذا عام قطع ابهري»(١٤).

(٤) كما جاء بقوله صلى الله عليه وسلم: «إن المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا أبقى»(١٥).

(٥) وجاء في معرض شرحه لمثل من أمثال الترك بحديث النبي- صلى الله عليه وسلم : «لا يلسع المؤمن من جحر مرتين»(١٦).

الاقتباس من الحديث النبوي:

وكـمـا كـان ذكـر الـحـديـث النبوي، قليلاً فإن اقتباسه لا يتجاوز الثلاثة مواضع:

---

(١٢) مقدمة ديوان لغات الترك.

(١٣) ديوان لغات الترك/١/٢٩٤.

(١٤) ديوان لغات الترك: ١/٦٨ وفي صحيح البخاري: كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في مرضه الذي مات فيه: «يا عائشة، ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر، فهذا أوان وجدت إنقطاع أبهري من ذلك السم» صحيح البخاري- الصفحة أو الرقم:٤٤٢٨.

(١٥) ديـوان لغـات الـتـرك: ١/٩٥، وقـد روي مرفوعاً عن عبدالله بن عمرو بن العاص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: فذكره في تمام حديث أوله: إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ولا تبغض إلى نفسك عبادة ربك فإن المنبت لا سفرا قطع ولا ظهرا أبقى فأعمل عمل امرئ يظن أن لن يموت أبداً واحذر حذر (امرئ) يخشى أن يموت غداً. (وهـذا سند ضعيف)، وبه علتان. لكن يغني عنه قوله صلى الله عليه وسلم: إن هذا الدين يسر ولن يشاد هذا الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا..؛ أخرجه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة مرفوعاً. وقد روي الحديث بنحوه من طريق أخرى انظر الحديث رقم:٨٧٤. أصلحوا دنياكم..؛ الشيخ الألباني في السلسلة الضعيفة المختصرة.

(١٦) ديوان لغات الترك: ٢/٢٦٧ ولفظه في البخاري: «لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين» صحيح البخاري/ كتاب الأدب/ باب لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين.

(١) فتلقه بوجه طلق(١٧)، فهو متأثر فيه بحديث أبي ذر- رضي الله عنه- قال: قال لي النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق»(١٨).

(٢) نمصت المرأة شعر وجهها(١٩)، ولعله متأثر بقول عبد الله بن مسعود قال: «لعن الله الواشمات والمستوشمات والنامصات والمتمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله»(٢٠).

(٣) لا يخلو ابن آدم من عيب أو

(١٧) ديوان لغات الترك: ٣٢/٣.
(١٨) صحيح مسلم/ كتاب البر والصلة والآداب/ باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء.
(١٩) ديوان لغات الترك: ٢٨٥/٢، ٧٣/٣.
(٢٠) أخرجه معظم الحفاظ في كتب السنة وعلى رأسهم البخاري ومسلم عن عدد من الصحابة منهم: ابن مسعود وابن عمرو وعائشة وابو جحيفة بألفاظ وطرق متعددة. ولفظه كما في صحيح مسلم عن عبد الله بن مسعود قال: لعن الله الواشمات والمستوشمات والنامصات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله. قال: فبلغ ذلك امرأة من بني أسد يقال لها: أم يعقوب وكانت تقرأ القرآن فأتته فقالت: ما حديث بلغني عنك أنك لعنت الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله؟ فقال عبد الله: ومالي لا ألعن من لعنه رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ وهو في كتاب الله، فقالت المرأة: لقد قرأت ما بين لوحي المصحف فما وجدته، فقال: لئن كنت قرأته فقد وجدته، قال الله عز وجل: وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا» الحشر/٧.

فقالت المرأة: فإني أرى شيئاً من هذا على امرأتك الآن، قال: اذهبي فانظري، فدخلت على امرأة عبدالله فلم تر شيئاً، فجاءت إليه فقالت: ما رأيت شيئاً، فقال: اما لو كان ذلك لم نجامعها.

داء(٢١)، من مضمون قوله: «صلى الله عليه وسلم: «كل ابن آدم خطاء»(٢٢).

الشعر العربي:

الشعر ديوان العرب كما يقولون، ولا يتصور أن يكتب سفر كبير كمعجم ديوان لغات الترك باللغة العربية، دون أن يشتمل على عدد من الأبيات العربية، وقد تتبعت الشعر في الديوان وحصره فوجدته كالآتي:

(١) إن السفر يأتي بأخبار البلد البعيد. وهذا كما قيل «ويأتيك بالأخبار من لم تزود»(٢٣).

وهذا من قول طرفة بن العبد(٢٤):

أرى الموت أعداد النفوس ولا أرى
بعيداً غداً ما أقرب اليوم من غد
ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً
ويأتيك بالأخبار من لم تزود
ويأتيك بالأخبار من لم تبع له
بتاتاً ولم تضرب له وقت موعد

(٢) هو جلمود صخر حطه السيل عل(٢٥).

وهو شطر بيت لامرئ القيس يصف

(٢١) ديوان لغات الترك: ١٠٣/٣.
(٢٢) ضعيف رواه الترمذي (٢٤٩٩) وابن ماجه (٤٢٥١). والدرامي(٢٧٣٠). وأحمد في (المسند): (١٩٨/٣)، وفي (الزهد) (ص٩٦).
(٢٣) ديوان لغات الترك: ٨٩/١.
(٢٤) ديوان طرفة بن العبد شرح الأعلم الشنتمري ت/ درية الخطيب ولطفي الصقال/ ص٥٨/ المؤسسة العربية بيروت لبنان.
(٢٥) ديوان لغات الترك: ١٠/٣.

حصانه(٢٦):

مكـر مفر مقبل مدبـــر معـــا

كجلمود صخر حطه السيل من عل

(٣) قد يخرج القوس المجلوزة من المقوس الخلق كما قيل:

تـــرى الرجـل النحيف فتزدريه

وفــي أثـــوابه أسـد مـــريـد(٢٧)

(٤) اليَمْلَق: أخذته الفرس من الترك فقالوا (يلمه) ثم أخذت العرب من الفرس فقالوا: (يملق) فقلبوا الهاء قافاً، كما قالوا: خندق وأصله (كنده). (يــارق) (أصلـه (يــاره) حتـى ذكره ذو الـرمـة فقـال: كـأنه متقبّى يَلْمَقٍ عزب(٢٨) وهو شطر بيت يصف فيه انقباض الثور من شدة البرد:

تجلو البوارقُ عن مجرمز لهق

كأنــه متقبي يـملقٍ عــزبُ(٢٩)

(٥) والألف مبدلة من النون كما في قول الله عز وجل: «لنسفعا»

(٢٦) معلقة امرئ القيس: ديوان امرئ القيس ش: الوزير ابي بكر عاصم بن أيوب/٣٤/ المطبعة الخيرية المنشأة الجمالية ١٣٠٧م.

(٢٧) ديوان لغات الترك: ١٣/٣. وهو للعباس ابن مرداس/ ينظر الصحاح: حرف الميم: جامعة أم القرى.

(٢٨) ديوان لغات الترك: ٢٦/٣. وينظر لسان العرب مادة قبا.

(٢٩) ديوان ذي الرمة: ١٦/ش: أحمد حسن بسج: دار الكتب العلمية/ ط الأولى سنة ١٩٩٥م.

وقول الأعشى:

والله ربك فاعبدا(٣٠)

وهـو جـزء مـن قـولـه فـي مـدح النبي الأكرم:

ولا النُّصُبَ المنصوبَ لا تَنْسُكنَّه

لعاقبـــة والله ربّكَ فـــاعْبــدا(٣١)

(٦) مـا- حكـاية عـن صـوت البهم والحملان. وهذا وافق العربية. كما يقال في قول ذي الرمة: باسم الماء مبغوم(٣٢) وهو جزء من قوله:

لا ينعش الطرف إلا ما تخونه

داع يناديه باسم الماء مبغوم(٣٣)

وقد أفاد من شعر العربية في بيان معاني الكلمات أو الأمثال أو المقارنة بين لغات الترك والعربية والفارسية فيما يعرف حديثاً بالفقه المقارن بين اللغات، وهذا منه دال على تأثره بالشعر العربي وأخذ ما يعينه منه على أداء رسالته، وتوظيفه فيما يود بيانه للقارئ العربي المقصود من تأليف كتابه.

الحكم والأمثال:

ولأن ديوان لغات الترك يحفل بحكم الترك وأمثالها فإنه لم يخل من مقابلتها بما يتسق معه من حكم

(٣٠) السابق/ ١٥٦/٣.

(٣١) ديوان الأعشى: ١٣٧/ تحقيق وتعليق/ محمد حسين/ رمل الأسكندرية ١٩٥٠م.

(٣٢) ديوان لغات الترك: ١٦٠/٣.

(٣٣) ديوان ذي الرمة/ ٢٥٥.

العرب وأمثالهم، وكان ذكره لها أكثر من ذكره للشعر، ولعل سهولة حفظها وكونها مشترك ثقافي عالمي سبب تسطيره للكثير منها، ومع كونها أكثر ذكرا من الشعر إلا أنها قليلة إذا ما قورنت بوفرة حكم الترك وأمثالهم مما يمكن مقابلته بالكثير من حكم العرب وأمثالهم، والمطالع لها يجد منها قرآنا أو حديثاً أو شعراً وقد ذكروا آنفاً، وبعد حصرها في ديوانه وجدتها كالآتي: (٣٤)

(١) كفرسي رهان مقدمة الكتاب.

(٢) المرء مخبوّ تحت لسانه.

(٣) كالباحث عن المدية.

(٤) يربض حجرة ويرتعي وسطا.

(٥) إذا أقبل أقبل وإذا أدبر دمر.

(٦) شوى أخوك حتى إذا انضج رمّد

(٧) إنا لنحن أعظم أكباداً من الإبل.

(٨) إاذا جاء نهر الله بطل نهر عيسى.

(٩) أتبع الفرس لجامها.

(١٠) يسر حسوا في ارتغاء.

(١١) إن البعاث بأرضنا يستأسد.

(١٢) إنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه.

(٣٤) مقدمة الديوان: ص٥، ١/٢٨١، ٢٤٢، ٢٦٧، ٣٨٢، ٣٩٣، ٤٠٩، ٢/٦٢، ٢٢٩، ٣/٨٨، ١٠٥.

وقد استطاع من خلالها شرح أمثال الترك وتقريبها إلى قارئ الكتاب، وتأكيد معانيها في نفسه بذكر ما يعرفه من أمثال قومه.

خاتمة:

بنهاية هذا المقال نؤكد ما قصدنا بيانه من تأثير الثقافة العربية والإسلامية في المكون الثقافي للفيلسوف اللغوي محمود كشغاري، مما بدا واضحاً في سفره الموسم بديوان لغات الترك من حضور ظاهر في:

(٧) تسمية المعجم باسم عربي.

(٨) تسمية أبواب معجمة بأسماء عربية.

(٩) منهجية المعجم سائرة على طريقة المعاجم العربية.

(١٠) وللعربية حضور حافل تجاوز المائة مرة.

(١١) وللأسماء العربية ظهور بدءاً من خليفة المسلمين إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي وابن أبي الدنيا وعاصم وأسماء بعض الشعراء ورجل من اليمن وصفة الأخفش.. إلى غير ذلك مما لم أحصه عددا.

(١٢) جاء ذكر لآيات القرآن الكريم في (٢٥) خمسة وعشرين موضعاً.

(١٣) الاقتباس من المعاني القرآنية في (٢٢) اثنين وعشرين موضعاً.

(١٤) وتضمن من الحديث النبوي الشريف (٥) خمسة أحاديث.

(١٥) واقتبس من معانيه الشريفة في (٣) ثلاثة مواضع.

(١٦) ومن الشعر احتوى على (٦) ستة مواضع.

(١٧) وللأمثال (١٢) اثنا عشر ذكراً.

ولا يغيب أن هذا الذكر لثقافة العرب والمسلمين جعل بين القارئ العربي المقصود من تأليف كتابه وبين الكتاب تواصلا فعالاً قادراً على جذبه وتشويقه وإثارة غريزة حب التعلم التي رفعت رايتها في أمة العرب والإسلام منذ بداية الوحي (اقرأ) ذات الدلالة القاطعة على أن العلم هو الطريق المعد للتطور والريادة.

ومن جانب آخر يكشف عن سعة ثقافته، وتعدد مناهله وروافد فكره، فقد أحاط بلغة وثقافة وحضارة قومه الترك الذين كثيرا ما يكشف عن اعتزازه بالانتماء إليهم، ثم بلغة العرب وثقافة المسلمين وفكرهم المنسول من القرآن والسنة وتطور حضارتهم، ثم بلغة الفرس وعاداتهم وما بقي من آثارهم.

ولا يتصور أن يعز على مثله تأليف هذا السفر العلمي البديع (ديوان لغات الترك) بما فيه من منهجية معجمية بديعة وثقافات متعددة وموازنات لغوية سابقة وحضارة قومية التاريخية والمدنية والجغرافية وعاداتهم وتقاليدهم التي لا يزال الكثير منها حيا في حياة الناس.

ومما أعجب له إهمال الباحثين العرب لهذا العمل العلمي الراقي، فلم أر فيه بحثاً يكشف عما فيه من ثراء ووفرة وبخاصة في مجال الموازنات بين لغات الترك والعربية كثيراً وبينهما وبين الفارسية أحياناً، وقد سبق بهذا ما يسمى الآن بـ:(علم اللغة المقارن) كما أنه يكشف كثيراً عن أحداث تاريخية إسلامية تحتاج إلى استخراجها وتوثيقها للناس.

المصادر:

(١) ديوان الأعشى/ تحقيق وتعليق/ محمد حسين/ رمل الإسكندرية ١٩٥٠م.

(٢) ديـوان ذي الـرمـة/ ش: أحـمـد حسن بسج/ دار الكتب العلمية/ ط الأولـى سنة ١٩٩٥م.

(٣) ديـوان طرفة بـن العبد شـرح الأعلم الشـنـتـمـري ت/ دريــة الخـطـيـب ولطفي الصقال/ المؤسسة العربية بيروت لبنان.

(٤) ديوان لغات الترك: محمود كشغاري/٣/ دار الخلافة العلية - مطبعة عامرة.

(٥) ديوان امرئ القيس ش: الوزير أبي بكر عاصم بن أيـوب/ المطبعة الخيرية المنشأة الجمالية ١٣٠٧م.

(٦) شـرح الـنـووي عـلـى مـسـلـم يـحـيـى بن شرف أبو زكريا النووي/ دارا لخير ١٤١٦هـ ١٩٩٦م.

(٧) الـصـحـاح/ حـرف المـيـم/ جـامـعـة أم القرى.

(٨) فتح الباري شرح صحيح البخاري أحمد بن علي بن حجر العسقلاني/ دار الريان للتراث ١٤٠٧هـ/١٩٨٦.

(٩) لسان العرب ابن منظور/ مادة قبا/ دار صادر.

القضايا التاريخية في «ديوان لغات الترك».

بقلم: أ. بارات علي، أ. جومارت *

إن الانبهار والدهشة يأخذان بلباب الباحث حال الاطلاع على مصنف محمود القشغاري الموسوم بديوان لغات الترك نظرا لما احتواه من معلومات تاريخية قيمة، فعلى الرغم من أنه ديوان لغوي، رغب صاحبه في إطلاع العرب على اللغة التركية وما تضمنته من لغات محلية لقبائل الترك إلا أننا نجد صاحبه يتحدث خلاله عن موضوعات تاريخية شتى بدت متناثرة في طيات معجمه اللغوي الفريد، ومنها نشأة الشعوب التركية وأصلهم وقبائلهم التي ينحدرون منها، كما تطرق فيه أيضا إلى المناطق الجغرافية والحوادث التاريخية التي عاصرها، والحروب التي نشبت بين الأتراك وغيرهم من الأقوام الأخرى كالفرس والصينيين خاصة، وكذا أسماء البلدان والديار والشخصيات التاريخية البارزة مثل ذي القرنين والملك أفراسياب، والملك أرسلان تكين، علاوة على بعض الأخبار المتناثرة عن التاريخ القرغيزي القديم.

ولعل ذلك ما يؤكد لنا فرضية أن اللغوي الفذ محمود قشغاري لم يهدف إلى إطلاع العرب على اللغة التركية فحسب، وإنما رام إلى إطلاعهم أيضا على صفحات ناصعة من التاريخ التركي القديم، ليؤكد أن الترك لهم تاريخ عريق كالعرب سواء بسواء، ولعل ذلك ما نجده في استطراد محمود القشغاري في سرد بعض الوقائع التاريخية وبخاصة عن الترك، ليصبح التاريخ لديه «سادٌّ لحاجة المجتمع إلى معرفة نفسه ورغبته في أن يفهم علاقته بالماضي وعلاقته بالمجتمعات الأخرى وثقافاتها»١ وبخاصة وهو ينقل ذلك إلى العرب.

١- التاريخ والمؤرخون: حسين مؤنس ص٣٢-القاهرة-١٩٨٤م.

نشأة الترك

لقد كان القشغاري حريصا على التنقيب عن أصل الترك فذكر أن «ترك - اسم ابن نوح صلوات الله عليه. وهو اسم سمى الله تعالى به بنى ترك بن نوح. كما ذكر الإنسان آدم عليه السلام في قوله تعالى: (هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ٢). ففي هذا الموضع اسم يقع على الواحد. في قوله تعالى: (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيم (٤) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (٥) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ (٦) ٣) وكما أن الروم اسم روم بن عيصو بن إسحاق صلوات الله عليه. فسمي به بنوه كذا هذا»٤.

ولا يتفق ابن كثير مع محمود القشغاري فيما ذهب إليه عن أصل الترك، فقد ذكر في البداية والنهاية أن : «يَافِثُ أَبُو التُّرْكِ. ... وَقَدْ قِيلَ إِنَّ التُّرْكَ إِنَّمَا سُمُّوا بِذَلِكَ حِينَ بَنَى ذُو الْقَرْنَيْنِ السَّدَّ وَأَلْجَأَ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ إِلَى مَا وَرَاءَهُ فَبَقِيَتْ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ كَفَسَادِهِمْ فَتُرِكُوا مِنْ وَرَائِهِ فَلِهَذَا قِيلَ لَهُمُ التُّرْكُ»٥، غير أنه يتفق معه في أن الروم هم بنو عيصو بن إسحاق فيقول:» ذَكَرَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنَّ إِسْحَاقَ لما تزوج رفقا بنت بتوابيل في حيات أَبِيهِ كَانَ عُمُرُهُ أَرْبَعِينَ سَنَةً وَأَنَّهَا كَانَتْ عَاقِرًا فَدَعَا اللَّهَ لَهَا فَحَمَلَتْ فَوَلَدَتْ غُلَامَيْنِ توأمين أَوَّلُهُمَا سَمَّوْهُ عِيصُو وَهُوَ الَّذِي تُسَمِّيهِ الْعَرَبُ الْعِيصَ وَهُوَ وَالِدُ الرُّومِ»٦

واعتدادا بأصله التركي يحرص محمود القشغاري على توثيق رواية طويلة في حديث قدسي منقول، هي رواية موضوعة بلا شك٧، لا أصل لها في جميع الكتب التي تناولت الأحاديث الشريفة فيقول: «وإنما قلنا إن الترك مما سمى الله تعالى به لما أخبرنا به الشيخ الإمام الزاهد «الحسين بن خلف الكشغاري» قال أخبرني ابن الغرقى قال حدثنا به الشيخ أبو بكر المفيد الجر جرائي المعروف بابن أبي الدنيا في كتابه المؤلف في آخر الزمان

---

٢ - سورة الإنسان-الآية١

٣ - سورة التقويم - الآية٤

٤ - ديوان لغات الترك: محمود قشغاري ١/ ٢٩٣- دار الخلافة العلية، مطبعة عامر ١٣٣٥ه

---

٥ - البداية والنهاية: أبو الفداء إسماعيل بن كثير ٢/ ١١٠-دار الفكر-١٩٨٦م.

٦ - البداية والنهاية: أبو الفداء إسماعيل بن كثير ١/ ١٩٤.

٧ - لم يعثر على صحة رواية الحديث الذي ذكره القشغاري في مواقع الحديث المشهورة، يستعان في ذلك بـ: http://www.dorar.net، وموقع الموسوعة الشاملة: www.islamport.com، موسوعة الحديث الشريف: http://hadith.al-islam.com

بإسناده عن رسول الله أنه قال «يقول الله جل وعز إن لي جندا سميتهم الترك وأسكنتهم المشرق. فاذا غضبت على قوم سلطتهم عليهم» ٨.

ويذكر باحثون عدم صحة ذلك الحديث وغيره٩ مما نقله المؤرخون وبخاصة الترك حينما احتكوا بالعالم الإسلامي ويفندون ذلك بأن النبي محمد ومعاصريه لا يعرفون أية معلومات عن المناطق الواقعة فيما وراء خراسان أو شرقي فارس، ولابد أنها جاءت من الأساطير والقصص الشعبية التي كانت شائعة في أنحاء الشرق الأدنى في ذلك الوقت»١٠

القبائل التركية المعاصرة لذي القرنين

يأخذ محمود القشغاري في سرد طبقات الترك وقبائلهم، ولعلنا نراه دقيقا في تحديد أماكن تلك القبائل على الرغم من كثرة ما عرض من تفاصيل، ولعل ذلك يؤكد خبرته الكبيرة بتلك الأماكن، إذ يردف بأنه مطلعنا على القبائل الكبيرة منها غاض النظر عن البطون الكثيرة التي لا حصر لها، ولا يعلم أمر عددها إلا الله، ويستثني من ذلك بطون الغزية فقد عرض لها بالتفصيل، فالترك في الأصل لديه»عشرون قبيلة. يعتزون كلهم إلى الترك بن يافث بن نوح النبي صلوات الله عليه. وهم بمنزلة أولاد ال روم بن عيصو بن إسحاق بن إبراهيم صلوات الله عليه، وكل قبيلة منها بطون لا يحصيهم إلا الله. فإني عاد أمهات القبائل وتارك الحلل إلا بطون الغزية التركمانية فإني ذاكر بطونهم وسمات دوابهم وحاجة الناس إلى معرفتهم ومبين منازل كل قبيلة منهم. من الأرض الشرقية على الترتيب ومن قرب الروم إلى المشرق جاهلية وإسلامية، فأول القبائل قرب الروم بجنك. ثم قفجاق. ثم أغز ثم يماك. ثم بشغرت. ثم يسمل. ثم قاى. ثم يباقو. ثم تتار. ثم قرقز. وهذه قرب الصين. هذه القبائل كلها بحذاء الروم ممتدة الى الشرق. ثم جكل. تخسى. ثم يعما. ثم اعراق. ثم جرق. ثم جمل. ثم أيغر. ثم تنكت. ثم ختاى. وهي الصين. ثم تتغاج. وهي ماصين.

---

٨ - ديوان لغات الترك ١/٢٩٤

٩ - ذكرت أحاديث أخرى عن الترك وهي موضوعة مثل:»اتركوا الترك ما تركوكم»، إلا ما ورد منها من أحاديث صحيحة عن الترك في آخر الزمان فيما يعرف بأحاديث الفتن ولقد تواتر رجال الحديث على ذكرها ينظر بالتفصيل كتاب الفتن: أبو عبد الله نعيم بن حماد-تح: سمير أمين الزهيري-مكتبة التوحيد - القاهرة-الطبعة الأولى، ١٤١٢عدد الأجزاء: ٢

١٠ - تراث الإسلام: جوزيف شاخت كليفورد بوزورث، تعليق وتحقيق: شاكر مصطفى ١/ ١٤٥-عالم المعرفة-الكويت-١٩٧٨م

وهذه القبائل متوسطة بين الجنوب والشمال. فبينت كل واحدة في هذه الدائرة.»١١.

ولعلنا نلمح كيف أنه ذكر مكان قبيلة «قرقز» وكيف حدد موضعها منذ ما يقرب من العشرة قرون، حينما قرنها بقبائل يسمل، وقاي، وبباقو وحددها جميعا بجوار الصين؛ ليعد بذلك محمود قشغاري من أوائل المؤرخين الذين أرخوا للتاريخ القرغيزي القديم، وقد حدد محمود القشغاري أماكن تلك القبائل في خريطة ملحقة بديوانه اللغوي، ولعل حكاية سلام الترجمان الذي أرسله الخليفة العباسي الواثق قد تضمن ذكرا لبعض تلك القبائل التي ذكرها القشغاري في ديوانه، حينما وصف الترجمان «مختلف القبائل التركية التي مر في أراضيها بما فيها البشناق والكيموك والأوغوز والقرغيز والقارلوق... إلخ»١٢ وإن كان لا يستدل تاريخيا على صحة تلك الواقعة ولكنه وافق الحقيقة فيما عرض عن تلك القبائل التركية وجاء موافقا لما ذكره القشغاري.

كما ذكر محمود كاشغري عن التركمان الحالية وأصلهم الغزية ويذكر القصة الطويلة حول التسمية ففيها يذكر الصين والأيغور وذي النورين وبعض الألفاظ الغزية «تُرْكمانْ – هم الغُزِّيَّةُ. وفي تسمية هذا الاسم لهم قصة. وذلك أنّ ذا القرنين لمّا جاوز «سمرْقنْدْ» وقصد بلاد الترك وكان يومئذ ملك الترك حتى يسمى «شُو». صاحب جيش عظيم وهو الذي فتّح شا حِصْن «شُو» قرب «بِلاساغُونْ». وكان يُضرب كل يوم للأمراء في جنده بحصن «شُو» باب ثلاثمائة وستين نَوْبَةَ. فقيل له بأنّ هذا الرجل أعنى ذا القرنين قد قرب أنحارب معه أم كيف تأمرنا. وكان «شُو» قد بعث إلى شطّ وادي «خُجنْدَه» أربعين من الاسْفَهْسالارِيَّةِ ليكونوا طليعةً ويُخبروا بعبوره. وهذه السرية كانت قد مرَّت من غير أن يشعر بها أحد من عسكر هذا الملك. والملك كان فارغ القلب لتلك الطليعة فلمّا قيل له أ نحارب. كانت له بركة من فضة يحملها في أسفاره ويملؤها ماء ثم يخوض فيها البطوط والاوَزُّ. فأجابهم وقال أبصروا هذه البطوط والإوزّ كيف تغوص فيها.

أخبار ذي القرنين

لم ينس محمود قشغاري أن يقص علينا نتفا عن القائد الخالد الذكر

١١- ديوان لغات الترك:١/٢٧-٢٨

١٢- تراث الإسلام: جوزيف شاخت كليفورد بوزورث، تعليق وتحقيق: شاكر مصطفى ١/ ١٥٣

ذي القرنين وأخباره وذخيرته والديار التي غزاها والقبائل التي قاتلها، فيذكر في ديوانه أن ذا القرنين:«لما وصل الصين بعث إليه ملك الترك سرية كلهم شباب ليقاتلوه. فقال له الوزير إنك بعثت إليه الشبان وكان يجب أن يكون معهم رجل كهل. ذو سن مجرب للحروب. فقال «أوكا» معناه كهل. فقال بلى. فبعث رجلا كهلا. حتى بيتوا طلائع ذي القرنين فهزموهم وساف واحد من الترك رجلا من عسكر ذي القرنين حتى قطعه إلى سرته. وكان المقتول قد شد في وسطه هميانا وفيه الدنانير. فانشق الهميان وانصبت الدنانير المخلوطة بالدم. فلما أصبحوا رأت سرية الترك الدنانير المخلوطة بالدم فقال بعضهم لبعض ما هذا. فقالوا «الت قان» معناه ذهب ودم. فسمي به طود هناك عظيم بذلك الاسم. وهو جبل حواليه كثير من أهل الوبر قرب أيغر. فصالحه بعد ذلك ذو القرنين». ١٣

وقد راج ذكر ذي القرنين في كتب التاريخ العربي غير أن معظم تلك الروايات خلا ما ذكر في القرآن الكريم ليست مؤكدة، وفيها كثير من المبالغات التي ذكرها رواة التاريخ القديم وبخاصة ابن عساكر والطبري وغيرهم، فقد ذكروا -كما ذكر القشغاري - مبالغات كبيرة عن ذي القرنين مثل أنه حج إلى الكعبة ماشيا، وأسلم على يد سيدنا إبراهيم عليه السلام، وغيرها من الأخبار الأخرى التي لا يمكن أن تقوم بها رواية دامغة تؤكد صحة ما ذهب إليه القشغاري ومن قبله ابن عساكر ومن بعدهما ابن كثير في مصنفه١٤

ويذكر خبرا عن جنود ذي القرنين واصفا شجاعتهم وبأسهم في الحروب» أخبرنا نظام الدين إسرافيل طغان تكين بن محمد جقر طنقاخان عن أبيه قال لما وصل ذو القرنين قرب ولاية أيغور بعث إليه خقان الترك أربعة آلاف رجل وأجنحة قلانسهم كأجنحة الشواهين. وكانوا يرمون النبل خلفا كما يرمون قداما فتعجب منهم ذو القرنين فقال «ايان خون خورند» أي هؤلاء استبدوا بمأكلهم لا يحتاجون إلى طعام أحد لأنهم لا ينفلت الصيد

١٣ - ديوان لغات الترك ١/٨٤-٨٥

١٤ - ينظر رواية خبر ذي القرنين البداية والنهاية: ابن كثير: ١/١٠٩:١٠٢، ويقارن بخبر سلام الترجمان في تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام.: شمس الدين الذهبي تح : د. عمر عبد السلام تدمري-دار الكتاب العربي.-لبنان/ بيروت.-ط(١)-١٩٨٧م.

عنهم فيأكلونه متى ما أرادوا. فسميت الولاية «خذخر» ثم قلبت الخاء ألفا وكذلك يفعل بحروف الحلق. يبدل بعضها من بعض. خصوما الخاء بالألف والألف بالخاء.»١٥ ولعله يلمح في رواية القشغاري ما درج عليه الرواة من المبالغة في ذكر الأخبار الواردة عن ذي القرنين، وهو يبدع في تخريج أسماء الأماكن المعهودة لدى الأيغور بوصفها أهم القبائل التركية وأكثرها امتدادا جغرافيا كمكان «خذخر» ويذكر ما لحقه من تغيير صوتي.

وكما انتهى إليه قبل في تخريج أسماء الأماكن الإيغورية الشهيرة ها هو القشغاري يخرج اسم بعض أطعمة الترك الشهيرة فيصفها تفصيليا وينسبها إلى ذي القرنين وجنده «تتماج» طعام معروف للترك وهو من ذخائر ذي القرنين فيهم. وذلك أن ذا القرنين لما خرج من الظلمات قل طعام القوم فشكوا إليه الجوع فقالوا له«بزني تتما آج». معناه لا تمسكنا هاهنا جياعا وخل سبيلنا حتى نرجع إلى أوطاننا. فشاور الحكماء في ذلك حتى أخرجوا هذا الطعام. وهو يقوي البدن ويحمر الوجنة ولا ينهضم سريعا، يشرب من المرقة بعد أكل تتماج أضعافه. فلما رأى ذلك الترك فسمى تتماج وأصله تتما آج أي لا تجوع»١٦.

ويتبع السبيل ذاته حينما يعرض لسبب تسمية اسم مكان لبليدة قرب «طراز» تسمى»جكل» فيعرض لذلك قائلا:» أن ذا القرنين لما وصل إلى بلاد «أرغو» حل السحاب عزاليها فتوحل الطريق فأصابه من ذلك تعب شديد وقال بالفارسية: «ابن جه كل است» معناه: ما هذا الطين لا تنجو منه، فأمر باتخاذ بناء فبني هذا الحصن الذي يسمى «جكل» اليوم»١٧.

ولعلنا نلمح التمحل الشديد في حرص القشغاري على رد أسماء الأماكن إلى أحداث تاريخية مشهورة وبخاصة حينما ينسبها إلى شخصية تاريخية مشهورة كذي القرنين، وقد تخطى الأمر لديه اللغة التركية، ولغة القبائل المحلية إلى اللغة الفارسية وتمحل الأسماء منها، إلا أنا في الوقت ذاته لا نملك إلا الإعجاب والانبهار بقدرة القشغاري على إتقان الفارسية معاني وتراكيب علاوة على ما أجادهما قبل من العربية والتركية بلهجاتها المحلية المختلفة.

---

١٥ - ديوان لغات الترك ١/١٠٢

١٦ - ديوان لغات الترك ١/٣٧٧-٣٧٨

١٧ - ديوان لغات الترك ١/٣٣٠

ويذكر القشغاري نتفا أخرى من حكايات متناثرة عن ذي القرنين في ثنايا كتابه لتأكيد سبب تسمية بعض الأماكن بهذه الأسماء التي هي عليها اليوم، فيذكر أن «ذي القرنين عبر فجاءت الطلائع إليه ليلا وأخبروه بعبوره. فضرب الطبل ليلا وسار نحو الشرق فوقع الهزاهز بين القوم لمّا سار ملكهم من غير أُهبة في المسير. فمن وجد مَرْكوبا ألقى نفسه عليه ومضى مع الملك فأخذ هذا دابة ذاك وأخذ ذاك دابّة هذا، فلمّا أن أصبحوا كان المعسكر قاعا صفصفا. ولم تكن البلاد والديار في ذلك الزمان مبنية نحو «طِرازْ» و«اسْبيجابْ» و«بَلاساغُونْ» وغيرها. فكلها بنيت بعد. والقوم كانوا أهل وبر وخيام.

فلما أن مضى الملك وجنده بقي منهم اثنان وعشرون نفسا مع أهلهم ولم يُدركوا حمولتهم ليلا حتى يحملوا ويمروا وهم الذين سميتهم في صدر هذا الكتاب وبينت علامات دوابهم. فمنهم «قِنِقْ» و«سَلْغُرْ» وغيرهما، وكان هؤلاء الاثنان وعشرون في تدبير أن يذهبوا رجالة أو يقيموا بموضعهم لقوا رجلين قد حملا الأثقال على ظهورهم ومعهما أهلهما كذلك يمشون أثر الجند وقد تعبا وعرقا من الحمل فلقيا هؤلاء القوم فتكلما معهم وشاوروهم في ذلك فقالوا هم أغنى الاثنين وعشرين نفسا يا رجلان إنّ هذا الرجل-يعنون ذا القرنين- مسافر لا يلبث في موضع فيمرّ عنّا ونبقى نحن في أرضنا. فقالوا لهما بالتركية «قالْ اَجْ». معناه يا هذان امكثا وابقيا وتلبّثا، وهم سُمُّوا من بعدُ «خلَجْ» والخلجِيَّةُ أصلهم هذا. هما قبيلتان. فلمَّا جاء ذو القرنين فرأى هذه الطائفة من الناس ذات شعور وعلامات التُرك بهم فقال قبل أن يسأل «تُرْكمان آند» معناه هؤلاء مُشابهون للتُرك. فبقي هذا الاسم بعده لهم إلى يومنا هذا»١٨.

ومحمود قشغاري في عرضه المطول يحاول أدراجه إثبات أسماء المدن بحوادث تاريخية، ولعله فعل ذلك كثيرا قبل مما لا نستطيع أن نقف عليه تاريخيا، أو نجد من المؤرخين من يعضد ما ذهب إليه أو ينفيه، ولعل الرجل غير مؤاخذ عليه، فغايته هو إثبات عراقة الترك فيما ينقل من أحداث تاريخية حول القبائل التي عاشت في بلاد الترك قديما.

ويواصل القشغاري نقله لأحداث تاريخية تتعلق بمسير ذي القرنين

---

١٨ - ديوان لغات الترك ١/٣٩٢

فيقول «مرَّ هذا الملك إلى الصين فتبعه ذو القرنين. فلما كان منه بقُرب» أُيغُرّ» بعث الملك إليه طليعة وبعث ذو القرنين طليعة فتواقعتا ليلا فكانت الدبرة على طليعة ذي القرنين. والوقعة كانت بِـ «التُون قان» وهو اسم جبل اليوم يسمى» التُون خان»، ثم صالحه ذو القرنين من بعد. فبقي مدائن» أُيْغُرّ» فأقام هناك مدة. فعاد» شُو» هذا الملك في أثره جاء إلى «بلاسغون». فبنى هذه المدينة التي تسمى باسم «شُو». وأمر بعقدِ طلسْم ثَمَّ فإنَّ اليومَ تأتى اللقالقُ إلى قُبالةِ تبكَ المدينةِ ولا تجوزها اَلْبَتَّةَ. فهذا بقِيَّة منع إلى الآن.

قال «محمود» صاحب الكتاب ولهذا المعنى كان آباؤنا الأمراء يسمون» خمير» لأن الغزية ما قدروا أن يقول «أمير» فقلبوا الألف خاء فقالوا «خمير» وأبونا هو الذي فتح ديار الترك من أولاد السامانية كان يسمى الأمير «بحركين» فقلبوا الألف خاء كما أريتك في أيغر. ولما قلبوا الخاء الفاء جعلوا الدال التي في «خذ» ياء. وهذا قياس عظيم أي يجعل الذال ياء. ثم جعلوا الخاء التي في «خر» غينا. ومبادلة الخاء بالغين والغين بالخاء جائزة كما يقال «ختر وغدر».١٩

ثم جعل هذا الاسم لأبناء الخناقانية سمة محضة. ويكون مركبا مقيدا بأسماء جوارح الطيور نحو قولهم «جغري تكين» أي تكين في بطشه كالبازي «كخ تكين» أي تكين قوي و إنما نقل هذا الاسم من الموالي إلى أبناء اَفْراسِياب لأنهم كانوا يعظمون آباءهم فكلما خاطبوهم أو كاتبوهم كانوا يكتبون و يخاطبون ب» إن العبد فعل كذا وصنع كذا» تواضعا لأنفسهم و توفيراً لآبائهم فخصوا بعد ذلك بهذا الاسم. و بقي اسم الموالي مفيدا بشيء مما يكون به مميزا عنهم على الظاهر. ٢٠

قسراق: الرمكة الفتية وعند الغزية الرمكة كائنا ما كانت وفي المثل»قيز برلا كرشما قسراق برلا يرشما» معناه لا تصارع العذراء فإنها تكون قوية فتصرعك، ولا تسابق في الرهان مع الرمكة الفتية فإنها أقوى من الفرس وأنزق فتغلبك، وهذا مما تمثلت الخاقانية للسطان مسعود ليلة الافتضاض وكانت تركله برجلها فتصرعه.

---

١٩ – ديوان لغات الترك:٢٣/١

٢٠ – ديوان لغات الترك:٧٢/١

الأماكن التاريخية التي ذكرت في الديوان:

ذكر محمود القشغاري كثيرا من الأماكن التاريخية في بلاد تركستان وما حولها من الحضارات العريقة كالحضارة الصينية، وبعض المدن التاريخية مثل مرو وطشقند وسمرقند، فقد ذكر على سبيل المثال «لفظ بدراج – ويشرح بأنه اسم كبير من يباقو، فدرجوا في أيدي المسلمين في زمن»بكج أرسلان تكين».

يستدعي الخاقان للإعانة في حرب ياباقو بأن قومي يكتبون كتاب العهد والبيعة أن لا يخالفوا الملك فالآن اجتمعت طوائف يسمل وجمل لمحاربتنا فأدركهم الخاقان حتى استباحهم وسباهم، وبعضهم عدّ جميع ما وراء النهر من ديار الترك. أولها» يَنْكَنْدْ». وهي كانت» دِزْرُوِيِنْ» أي مدينةٌ وقلعةٌ من نحاسِ لشدتها وهي قرب مدينة» بخارا». قُتِلَ فيها زوج «قازْ» هذه بنت أفْراسياب المسمّى «سياوُشْ». فالمجوس يأتونها كل سنة يوماً ويبكون حول مقتله ويعترون العتائر ويصبون دمها على دمه. هكذا دأبهم.

والدليل على أن جميع ما وراء النهر من»يَنْكَنْدْ»إلى الشرق من ديار الترك أنه يُسمى»سَمِزْ كَنْدْ» لِسَمَرْقَنْدْ.»تَشْكَنْدْ» هي شاشْ.»أوزْكَنْدْ».»تَنْكَنْدْ». وأسماء هذه البلاد كلها بالتركية.»كَنْدْ» بالتركية البلدةُ.

وهم بنوا هذه البلاد فوضعوا عليها هذه الأسامي حتى بقيت الأسماء كما كانت. فلما كثر فيها الفرس فصارت كأنها بلاد العجم. والآن تُعَدُّ تخوم ديار الترك من»أوزْجَنْدْ» الى الصين. مُحْدقاً أطرافها بالبحر الذي يُسمى»بَحْرَ آبِسْكُونْ». قي طول خمسة آلاف فرْسَخِ في عرْض ثلاثة آلاف فَرْسَخِ. فتكون الجملةُ ثمانية آلاف فرْسَخِ.

كما يذكر قازْسفى – اسم وادِ عظيم يفيض بوادي»ايلا». وإنما سمي به لأنَ بنت اَفْراسيابْ بنتْ على شَطِّهِ على شاهقِ قَلْعَةً فنسب هذا الوادي إليها، وكذلك مدينة بَرْسغان الذي ينسب إليها حسين القشغاري أبوه فيقول أنه « اسم ولد لِأفْراسيابْ. وهو الذي بنى» برسغان». وهي مدينة منها أبو»محمود»، وقيل بأنه اسم سابِشْ كان لِمَلِكَ»أُيْغُر» يَسُوسُ الخيل في ذلك الموضع لطيب هوائه ثم نُسِبَتِ البَلْدةُ إليه. ٢١

ويذكر كذلك «قازْ – اسم بنت اَفْراسِيابْ. وهي التي بنت بلده

---

٢١ – ديوان لغات الترك: ٧٩/١

«قَزْوينْ». و أصله»قازْاُينى» أي ملعب قـازْ. لأنها كانت تسكن ثمَّه وتلعب. فلهذا المعنى عدّ بعض الترك» قزوين» من حدود ديار الترك. وكذلك بلدة «قُمْ». لان «قُمْ» بلغة الترك الرملُ. وأن بنت اَفْراسِياب هذه كانت تَصيدُ ثمَّه وتـألـفُـهـا. ٢٢وبعضـهـم عـدّ من «مرْوَالشاهجان». لأنّ أباها «تنْكاالَبْ ارْ» وهو اَفْراسيابْ بنى مدينةَ «مَرْوْ» بعد ما بنى «طَـهْـمُـورَثْ» القُهُنْدُزْ بثلاثمائة سنين.

ولعلنا في عرض أسماء الأماكن التي عـرضـهـا مـحـمـود الـقـشـغـاري يتخذ لنفس السبيل ذاته فيما عرض من أخبار ذي القرنين، فهو يحاول إيجاد السبب الذي من أجله التصق الاسم بالقبيلة أو المدينة أو حتى الوادي أو الجبل، ولعل ذلك منهج تاريخي ساد لدى المؤرخين العرب الذين سبقوه أو لحقوه بعد كابن كثير والذهبي وابن الأثير، وغيرهم من القامات التاريخية السامقة.

حروب الترك بقيادة أرسلان تكين مع غير المسلمين

خـاض الـقـائـد أرسـلان تـكـين حـروبا ضـاريـة ضـد الـصـيـنـيـين بعد أن تولى الـحـكـم عـام ٤٨٠هــ، وقـد ذكـر ابن خلدون في مصنفه التاريخي أنه ولي الحكم بعد أخيه أرسلان خان، وكان شـديـد الـتـقـوى والإيـمـان مستجاب الدعوة «وكان من الغريب الدال على قصد أيمـان أرسـلان أنـه كان عند خروج الترك إلى بلاد ساغون عليلاً فلما بلغه الخبر تضرع لله أن يعافيه حتى ينتقم من هؤلاء الكفرة ويدفعهم عن البلاد فاستجاب الله دعاءه.وكان محباً لأهل العلم والدين»٢٣

وكان أرسلان تكين بلقب بعظيم يَباقو «بكا بُـدْرَجْ». فهزمهم الله تعالى يوم واقع بهم «اَرْسلانْ تِكينْ» الغازي في أربعين ألفا من المسلمين. والكَفَرَةُ مع»بُكابُدْرَجْ» سبعمائة ألف.

قـال «مـحـمـود» سـألـتُ عـمَّـنْ شاهد هذه الحرب وقلت كيف وقعت الدبرة على الكفرة مع كثرة جموعهم فقال ونحن أيضا عجبنا من ذلك وسألنا عن الكفرة وقلنا لهم كيف انهزمتم مع هذا الجمع العظيم فقالوا لمّا ضُرِبت الطبول وتُفِختِ الأصوار رأينا بحذاء رؤوسنا جبلا اَحضَرَ قَدْ سَدَّ الأفق وفيه أبـواب لا تحصى كثرة كلها مفتوحة ترمي إلينا بِشرر من النيران فدَهِشْنا

٢٢ – السابق: نفسه

٢٣ – ديـوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر: ابـن خـلـدون ص١٠٨ تح: خليل شـحـادة- دار الفكر، بيروت-ط(٢)- ١٩٨٨ م

من ذلك حتى غلبتمونا. قلت وهذا من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم الباقية في جموع المسلمين.٢٤

ولعل القائد الذي ذكره القشغاري هو أرسلان خان الذي تواترت كتب العرب التاريخية على ذكره فقد تولى الحكم مدة قصيرة عام ٤٠٨ هـ وشهد له بالصلاح والتقوى، وقد ذكر ابن خلدون أنه خاض غمار حرب ضارية مع الصينيين في بلاد ساغون في حشد من الجند لم يتجاوز ثلاثمائة ألف وقد أبلى الجند بقيادته بلاء حسنا كلله الله بعد بالنصر على أعداء الإسلام.

أسماء التواريخ لدى الترك

يروي محمود القشغاري أن الترك أخذت أسماء اثني عشر صنفا من الحيوان ووسمت بها اثنتي عشرة سنة. فيؤخذ حساب الأولاد والتواريخ في الحروب وغيرها بدوران، وأصل ذلك-فيما ذكر-أن ملكا من ملوكهم احتاج إلى معرفة حرب مضت قبله بسنين فأخطأوا في تلك السنة التي وقعت فيها الحرب فشاور قومه في ذلك، وقال كما أخطأنا نحن في هذا التاريخ ستخطئ من بعدنا الأجيال القابلة كذلك، فأخذوا على أنفسهم تسمية السنين الاثنتي عشرة على عدد الشهور وعدد بروج السماء حتى يؤخذ الحساب بعده بدورانها ويكون ذكرا مخلدا. فقالوا كما ترى.

فخرج الملك يصطاد وأمر بأن يضطر الوحوش إلى واد «إيلا» وهو ذو ماء عظيم. فصادوا وألجأوا الوحوش إلى الماء فعبر الماء اثنا عشر صنفا منها. فوضع كل عابر منها على سنة وهي كالتالي:

أولها سيجخان (وهي الفأرة). وكانت أول العابرين من الحيوانات. فأخذ رأس السنين منها فيستعمل مضافة بهذا الاسم فيقال (سيجغان يل) أي سنة الفأرة.

ثم بعدها (أود يلي) أي سنة البقرة.

ثم بعدها (بارس يلي) أي سنة الفهد.

ثم بعدها (تفشغان يلي) أي سنة الأرنب.

ثم بعدها (ناك يلي) أي سنة التمساح.

ثم بعدها (ييلان يلي) أي سنة الحية.

ثم بعدها (يند يلي) أي سنة الفرس.

ثم بعدها (قوي يلي) أي سنة الغنم.

ثم بعدها (بيجين يلي) أي سنة القرد.

٢٤ - ديوان لغات الترك: ١/٧٩

ثم بعدها سنة الدجاج وهي (تقاغو يلي). ثم بعدها (إيت يلي) أي سنة الكلب.

ثم بعدها سنة الخنزير وهي تسمى (تنكوز يلي).

فإذا بلغت إلى تنكوز هذه يستأنف الحساب من «سجخان». وهي الفأرة. والسنة التي كتبنا فيها هذا الكتاب كان في المحرم سنة ست وستين وأربع مائة، وكانت قد دخلت سنة الحية وهي يلان يلي وإذا مضت هذه السنة ودخلت سنة سبع وستين تدخل سنة الفرس وهي يند يلي، وهكذا يدور الحساب كما أريتك ٢٥.

والترك تزعم في كل سنة منها حكمة ويتفاءلون بها فتقول إذا كانت أود يلي أي سنة البقر يكثر فيها الحروب لما أن في البقر نطاحا. وإذا دخلت سنة الدجاج يكثر فيها الطعام ولكن يقع بين الناس التشويش لما أن طعام الدجاج الحب وهي أبدا تلقي القماش بعضه على بعض. وإذا دخلت سنة التمساح يكون الأمطار والخصب لأن مسكنه الماء. وإذا دخلت سنة الخنزير يكثر فيها البرد والثلج والفتن. وكذلك تزعم في كل سنة شيئا.

٢٥ – ديوان لغات الترك، الجزء الأول، ص ٢٨٨–٢٩٠

ولا يملك الترك أسامي الأيام السبعة لأن أيام الأسبوع عرفت لدى العرب قبل. وكذلك أسماء الشهور. وتسمى بالعربية وأهل الوبر وأهل الجهالة من الكفرة يسمونها على أربعة فصول. لكل ثلاثة أشهر ومنها اسم يعرف بها مضي السنة، فكما ما يقال يبدأ الربيع بعد النيروز نهاية شهر الجدي. ثم بعده ألغ إغلاق أي شهر الجدي الكبير لأنه يكبر في الشهر الثاني. ثم بعده ألغ أي يعني شهر كبير لأنه يكون سرة الصيف فيكثر اللبن ويبدو كل نعمة كانت في الأيام والأرض فكذلك غيرها. فإني لا أذكرها لقلة الاستعمال بها فافهم.٢٦

شخصيات تركية

ذكر محمود القشغاري عددا من الشخصيات التاريخية منها على سبيل المثال «قلباق: اسم زاهد من الترك كان يألف جبال بلاساغون قالوا بأنه كان يكتب بيده على الصخرة الصماء السوداء «تنكري قلي قلباق» أي عبد الله قلباق. فيظهر فيها الكتابة البيضاء ويكتب كذلك على الصخرة البيضاء فتظهر الكتابة السوداء وأثره باق إلى اليوم في إحدى المدن القرغيزية.

٢٦ – ديوان لغات الترك، ج ١، ص ٢٩١

جفي – اسم حزب الجنّ. وذلك أنّ الترك تزعم أنّ الجمعين إذا تلاحما فقبْلَ ذلك الجنّ الذي سكن ولاية هذين الجمعين يتحاربان تعصباِ لصاحب ولايتهما من الإنس فمن ظَفِرَ منهما يكون الظفر لصاحب ولايته غدًا ومن اِنْهَزَمَ منهما ليلا يكون الدبْرة على المَلِكِ الذي يسكن هذا الحزب من الجنِّ في ولايته.

وجيوش الترك تتستَّر في ليلة المعاد وتدخل الخيام توقِّيا عن وَقْعِ نبال الجن. وهذا معروف فيهم. قفى اَرْ – الرجل المدبر. بلغة اَرْغُو. وفيه المثل «قُفى اَرْ قُدُغْقا كِرْسا يِلْ اَيرْ» معناه أنّ المدبر إذا دخل في البئر أخرجته الريح مِنْ ثَمَّ لِيُقاسِيَ المشقَّةَ.٢٧

الخاتمة

وختاما يمكن الخروج بعدة نقاط هامة تعليقاً على الأحداث التاريخية والشخصيات التي ذكرها محمود قشغاري في ديوان لغات الترك وهي كالتالي:

الأحداث التاريخية التي ذكرها يتعلق غالبيتها بأمجاد القبائل التركية عامة في محاربتها جيوش الكفر، وكأنه بذلك يؤكد حرص القبائل التركية على نشر الإسلام الذي كان لا يزال في مهده إبان تلك الفترة.

بدا اعتزاز محمود القشغاري بأصله التركي فذكر أحاديث موضوعة عن مكانة الترك منسوبة إلى رسول الله، وأظن أنه كان على وعي بما يقول حينما ذكر الجملة الاعتراضية-إن صح-وربما الحديثين اللذين ذكرهما لم يذكرهما غيره.

كثير من الحوادث التاريخية التي ذكرها القشغاري ندر أن تجد لها أثرا في كتب التاريخ العربية التي تناولت تاريخ مناطق آسيا الوسطى، وبخاصة في حديثه عن أصل الترك ومسير ذي القرنين، فالأحداث بتفاصيلها لم يعثر عليها لدى المؤرخين العرب من أمثال ابن كثير وابن الأثير وابن عساكر والذهبي وابن خلدون.

كان محمود القشغاري حريصا على ذكر تاريخ الأماكن والمدن الشهيرة، وربما تمحل كثيرا في إيجاد أسباب مقنعة لتسمية الأماكن.

استطرد محمود القشغاري في ذكر حوادث تاريخية على الرغم من أن مصنفه لغوي، ولعل ذلك يفسر الغاية التي انطلق منها.

وعلى الرغم من النقد الموجه لمحمود القشغاري فيما ذكر من حوادث تاريخية، إلا أن الرجل تبقى له فضيلة

٢٧ – ديوان لغات الترك: ١/٤٠٩

التفرد بكشف الحوادث التاريخية بعيون تركية إلى بلاد العرب، وقد وضح مما سرد من أحداث تاريخية عظيمة-أكدها بعض المؤرخين العرب-عظمة بلاد الترك وحرصها على نشر دين الله، كما يعد سفره واحدا من أهم الكتب التي أضاءت جانبا ناصعا من تاريخ الترك الحافل على مر العصور إبان القرن الخامس الهجري وما قبله.

المصادر والمراجع:

البداية والنهاية: أبو الفداء إسماعيل بن كثير-دار الفكر-١٩٨٦م.

تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: شمس الدين الذهبي تح: د. عمر عبد السلام تدمري-دار الكتاب العربي-لبنان/ بيروت. -ط(١) -١٩٨٧م.

التاريخ والمؤرخون: حسين مؤنس. -القاهرة- ١٩٨٤م.

تراث الإسلام: جوزيف شاخت كليفورد بوزورث، تعليق وتحقيق: شاكر مصطفى- عالم المعرفة-الكويت-١٩٧٨م

ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر: ابن خلدون ص١٠٨ تح: خليل شحادة-دار الفكر، بيروت-ط(٢) -١٩٨٨ م

ديوان لغات الترك: محمود قشغاري-دار الخلافة العلية، مطبعة عامر ١٣٣٥هـ.

قراءات



اللوحة بريشة الفنان إبراهيم اسماعيل

الكويت..
في أدب منى الشافعي

بقلم: د. أحمد بكري عصلة *

وضعت الأديبة الكويتية المعروفة منى الشافعي مجموعات القصص: «النخلة ورائحة الهيل»، و «البدء مرتين» و «دراما الحواس» و «أشياء غريبة تحدث» و «نبضات أنثى» و «.. وبعضاً من الحياة» وروايتي «ليلة الجنون» و«يطالبني بالرقصة كاملة» وكتاب «للكتابة لون آخر».. وفيها كلها، عملاً بحرية النبض الذي يقودها تارة وتقوده تارة أخرى، جَعَلَتْ الكويت، المدينة الصغيرة، أجمل ما يحرك إحساسها ومشاعرها، وأجمل وردة حمراء تتمتع بها وتمتعها بحسن التعامل والرعاية، فجعلت منها وطناً للجمال والعطاء والحب، فأخذت منها وأعطتها من غير حدود أو قيود أو سدود.. فقد جعلتها المكان الأجمل والأحق بجل ما كتبت من قصص قصيرة، وكذلك الروايتين، ثم في : «للكتابة لون آخر» الذي دونت معظم مقالاته في مناقشة وضع الكويت وأحوالها المختلفة (سياسية واجتماعية واقتصادية وثقافية وتاريخية..) وفي مناقشة قضايا المواطنين وحثهم على التمسك بالمثالي النافع المفيد، والتخلي عن كل ما من شأنه الإضرار بالوطن والمواطنين، فجاء أكثر ما فيه دعوات في سبيل إصلاح الوطن وأهله، وتنبيه الرجل إلى مراعاة أخته المرأة، والمرأة إلى التحرر من كل ما يضر بها، والارتقاء بأوضاعها في المجتمع كي تستحق مكانتها بين الرجال قائدة وموجهة ووزيرة وعضوة برلمانية.. وقبل كل شيء أنثى واعية تدبر أمرها وأمر الكويت بعين محبة، وعقل متفتح، وقلب ينبض بالفلاح والنجاح وحب الوطن قبل أي حب آخر، وتحفظ أنوثتها بعين الحق والإيمان والصبر والعمل المخلص البناء في ثوب لا يخلو من الأناقة والجمال، ومظهر يناسب مظهر الأرض والبحر والسماء

---

* أكاديمي سوري مقيم في الكويت.

امتداد عقل وفكر، وصفاء نفس وقلب، ورقّي شأن وأمر.. لتستحق أن تكون أخت الرجال قلباً وقالباً.

ولعل خاطرتها النبضة أو القصة القصيرة «ديرتي» خير معبر عن مشاعرها ومشاعر بنات جيلها ومن سبقتهن وإحساسهن في الماضي والحاضر.. وخير تعبير أدبي عن وضع المرأة وإحساسها، فقد كبلها الماضي سنين بتناقضاته وصراعاته وتبعاته واستجواباته التي - كما تقول- حبست أفكارها، وكسرت أقلامها، وأحرقت أوراقها، فلم تعد تكتب حرفاً، وسكبت أحبارها، وعبثت بألوانها، ومزقت دفاترها، فلم تعد ترسم شيئاً.. ووَضَعتْ قوانين للسانها الطويل، فلم تعد تثرثر في المجالس أو تناقش في الدواوين، أو حتى تتذوق للجمال طعماً في مدينتها الجميلة حيث كانت مجرد دمية رائعة تتخاطفها الأيدي البشعة الطويلة، وتلعب بها التيارات المملة، وتمسد على رأسها الاتجاهات الغريبة، وكأنها لا ترى، ولا تسمع، ولا تتكلم، حتى إذا كان الزمن الجديد المسقوف بخيمة حريرية منقوشة بأفكار جديدة تتلون بأحلام زاهية مزركشة، مملوءة برؤى بعيدة، وخطوط مكثفة راقية.. انجذبت إلى هذا العالم الحالم الواضح.. وبيد مرتعشة تناولت قلمها الذي كاد يجف حبره، وعلى أوراقها التي بهتت ألوانها، وتمزقت أطرافها، بدأت تكتب خائفة متلفتة حتى إذا اطمأن قلبها، وهدأت روحها أخذت تكتب بأكبر من المساحات، وأكثر من الحريات، وبجرأة تفوق كل الأزمان.. رقصت، غنت، فلم تجد إلا القبول والتصفيق والحب والقبول والتأييد.. وراحت تبحث في عقلها عن ثقب منسي في ذاكرة الزمن، حتى إذا وجدته فجأة صرخت من فرحتها، ودلفت منه إلى مدينة صغيرة بسيطة متربعة بخيلاء على رأس الخليج.. ناسها طيبون.. قابلوها بوجوه صافية مبتسمة.. أحاطوها بالحب والحنان.. وقبل أن تزداد دهشتها قيل لها إنها كانت في الماضي مدينة الحب والسلام.. إنها ديرة أمها وأبيها وجدها.. إنها الحبيبة ديرتها الكويت(١).

هكذا صورت ماضي الكويت كما هو في نفسها، وكما هو في نظرته السابقة إليها وإلى أخواتها من نوابض الكويت، كما صورت القفزة الكبيرة التي قفزتها وأخواتها في الزمن الحاضر، فصارت منى الشافعي، وليلى العثمان، وعالية شعيب، وليلى محمد صالح، وثريا

(١) تنظر هذه النبضة القصة في (نبضات أنثى) ص ٤٧-٤٦.

البقصمي، وفاطمة العلي، ونجمة إدريس.. وأخريات ممن عاصرهن أو تلاهن .. علامات على انتصار المرأة في زمن الحداثة والحرية، وتمكنها من إثبات وجودها في عالم قوي يتجدد ويتغير باستمرار، ويعطين فيه، ويقدمن ما يتناسب وهذا التطور في ثقة وثبات وغلبة من دون قهر لأحد!!.

إنه عالم جديد تشكل لحظة أن أصبح الإنسان ومجتمعه يعيشان فجأة في دنيا غير معهودة على حد قول الدكتور سليمان الشطي(٢).

فما صور الكويت في أدب منى الشافعي بعد هذا التمهيد المقصود لأهمية الموضوع؟

الكويت: الوطن: جسدت الكاتبة الكويت على أنها الوطن في كثير من قصصها، بل إنها نظرت إلى هذا الوطن الصغير على أنه كبير بما قدم وأعطى، كبير بما هم عليه أهله من حب ووفاء.. البيت القديم هو رمز للوطن بكل قيمه ومآثره، لذا حزنت لمجرد مغادرة ذلك البيت.. في قصة «رغبة» من مجموعة (البدء مرتين) يصبح البيت والوطن شيئاً واحداً يختزنان ذكريات البطلة وذكريات الكاتبة التي ما انفكت تتحدث عن تلك الذكريات، وتقوم برحلات أو زيارات خاصة لمنطقتها القديمة، ولما هو قريب منها من أسواق ولاسيما أسواق المباركية الرائعة التي تجسد عبق الماضي النقي على الرغم من التطور والتجديد الذي طرأ عليها.

وكما جسدت هذه الصورة الأصيلة للوطن في كثير من قصصها فقد تحدثت كثيراً عنه في مقالاتها، ومنها: (فيلكا أم الجزر) و (هل يعود لنا .. المهلب)(٣). و (متحف يلخص صفحات من تاريخ الكويت) و(هل سيعود مجسم الكرة الأرضية إلى مدخل الشويخ) و (رفقاً بالتراث يا جامعة الكويت)، و (فيه كويتي) و (أطباء الكويت يستصرخون أهل الخير) و (حتى لا ننسى جريمة العصر) و (ترسيم الحدود الكويتية العراقية الحق التاريخي والإرادة الدولية)...

الكويت: المجتمع

شغلت قضايا المجتمع الكويتي حيزاً كبيراً و مهماً من كتابات منى الشافعي كلها.. فكل قصة تلبي هاجساً اجتماعياً أو نفسياً أو فكرياً من قضايا الكويت وأهلها، وأحياناً

---

(٢) القصة في الكويت، صور وانعكاسات من لهيب الاحتلال حتى التحرير. عالم الفكر. المجلد ٢٢- العدد الأول «يوليو - أغسطس- سبتمبر» ١٩٩٣م.

(٣) المهلب نوع جميل من السفن القديمة التي صنعها الكويتيون القدماء بأيديهم.

بعض فئات المقيمين عليها من خلال علاقاتهم ببعض الشخصيات، ومن خلال بعض مقالاتها.

وقد صرحت منى الشافعي أكثر من مرة عن تعلقها بالمجتمع، وسعادتها بانغمارها في حياته ومشكلاته وقضاياه، ومن ذلك المحاورة التي أجرتها (عزيزة علي) ونشرت سنة ١٩٩٤م. حيث قالت: «.. لقد عشت في الجامعة كموظفة لمدة تزيد على ثمانية وعشرين عاماً وشهدت الكثير من الأحداث والتغيرات في هذا الصرح الأكاديمي، وتكون لدي مخزون ثري من الأمور الحياتية اليومية والتحولات والقصص والحكايات التي تدور من حولي، وكانت لي عين راصدة لهذه الحالات، ومن هذا المخزون الذي يحتل مساحة كبيرة في ذاكرتي جاءت أحداث روايتي» وتقصد «ليلة الجنون» وأضيف إنه من هذه العوالم جاءت أحداث كثيرة من قصصها القصيرة، وكذل روايتها الأخيرة (يطالبني بالرقصة كاملة) لدرجة أنه يمكن القول إن كل قصة أو موضوعة اجتماعية هي صدى لما يجري في بيت كويتي، أو مؤسسة تجارية، أو وزارة من الوزارات، أو سوق ما، وربما في الشوارع، والمجمعات، ومن على شواطئ البحر.. لهذا تابعت قولها في المحاورة المذكورة: «..فأنا لا أعيش بمعزل عن مجتمعي الصغير، وهو الجامعة، ولا الكبير وهو المجتمع الكويتي، لذلك جاءت كتاباتي تحاكي الواقع المعاش وتلامس معطياته وتحولاته وأحداثه وتاريخه..».

ثم جاءت مقالاتها في الصحف الكويتية كالقبس وغيرها، وهي جمعتها في كتاب «للكتابة لون آخر» لتعزز هذا المنهج في الكتابة، في رصد مختلف الهموم والقضايا الاجتماعية والفكرية والثقافية كمقالتها (مجلة الكويت وبيتها) و (الاحتفاء الأربعيني بمجلة العربي) و (الكويت أولاً) و (سلوكيات غير حضارية) و(العودة إلى المدارس) و (أخيراً في عز الظهر شاهدنا النجوم!) و (لعبة الكهرباء) و (كرة القدم في ملعب وزارة الصحة) و (منطقة الشويخ الصناعية تصرخ : يا بلدية..) و (أطفال الكويت والسمنة عالمياً).. وكلها تتناول هموماً عامة ليس للكاتبة أية مصلحة شخصية في الحديث عنها، بل إن الهاجس وراءها إنما هو الإصلاح، مثلما هاجسها في قصصها ورواياتها تهذيب النفس والحث على حب الوطن وإنقاذه من مسببات الهموم والضياع!.

الكويت .. الغزو والغزاة

لن نتحدث عن الغزو والاحتلال والعدوان والتحرير كما حدثت، فهذا شأن التاريخ، أما الأدباء فإنهم يتحدثون عنها كما هي في أعماق الشعور، ويبحثون عن أثرها في الإنسان، أباً وأماً، رجلاً وامرأة، طفلاً وصبياً، وشاباً وكهلاً وشيخاً، يبحثون عن أثرها في الحاضر وعن أثرها في المستقبلين القريب والبعيد... لهذا تعددت مقالات الشافعي عن الكويت في مواجهة الغزو وصناعه، والتحرير ورجاله، والأعياد الوطنية وقيمتها؛ فكتبت (الكويت أولاً) «.. من هذه اللحظة يجب أن نرفع هذا الشعار ونعلقه تميمة في قلوبنا قبل صدورنا، وساماً في عقولنا، حافزاً في تفكيرنا قبل أن نخطه على الورق، ونعلقه في الشوارع، ونزين به طرقات ديرتنا الحبيبة، ليظل دفيناً بين الرمش والرمش، نطبق عليه في بؤبؤ العين حتى لا ننساه لحظة، ولا يغيب عن أعيننا ساعة الغفوة أو وقت النوم»(٤)... ولأن الكويت أولى الأولويات، فقد جعلت هذه العبارة شعاراً أعلى، ينفذ ولا يقال أو يلفظ فحسب، ثم تليه أولويات كبيرة تحدثت عنها في مقالات، أيضاً، منها (أسرانا.. لن ننساكم) و (تحية إلى الجبهة الداخلية و (فبراير.. الأعياد والحرب) و (المقيمون الرائعون.. شكراً) و (الكويت أم الأمهات) ومرة أخرى (لن ننسى أسرانا) و (حتى لا ننسى جريمة العصر - كتاب محمد البرجس) و (آراء وتوجهات في القضايا الكويتية بعد الأزمة) و (حرب الكويت من الاحتلال إلى التحرير في موسوعة جديدة) لعبد العزيز يوسف الأحمد..

فإذا عدنا إلى القصص القصيرة وجدناها تقف على نقاط محددة مما كان يحدث في أثناء الاحتلال ويمثل ضغطاً مادياً أو نفسياً على مَنْ ظلوا في الكويت، ولم يغادروها، على نحو ما وضحنا في عرضنا لمجاميع القصص، ونكتفي بالإشارة التي تعني، وتؤكد ما نقول..

في مجموعتها (وبعضاً من حياة) في قصة (نزف) تلخص الغزو كله بدودٍ غزيرٍ يهجم ويسيطر على كل شيءٍ في خلال سبعة أشهر أفقدت الكويت جمالها وقيم السلم التي كانت تجسدها، والمؤاخاة بين كل من كان عليها.. لهذا لم يتحملوا الغزو ولم يطيقوه على الرغم من وعود الغزاة بغد أفضل، وحياة أرغد خاصة

---

(٤) للكتابة لون آخر، ص ١٩٣.

بالكويت ومن فيها.. ولهذا كانت الفرحة، فرحة هؤلاء جميعاً بالنصر والتحرير لا تعدلها فرحة بهزيمة هذا الدود، والخلاص مما جره على الكويت من قرف وخراب. كما جسدت في قصة أخرى من هذه المجموعة تحت عنوان (خارج الوقت.. داخل الوطن) هالات الاستبداد والتعذيب التي نالت المواطنين، ولاسيما من سجنوا لدى الطاغية، ومنهم الشاعر الغنائي، فايق عبد الجليل، والشاعر العراقي (فالح حسون الدراجي).. صورة واضحة لجرائم الظلم والاستبداد لكنها سوداء عابسة لا تسر ناظراً أو قارئاً، زادت صورة الكويت، أيام الغزو، وضوحاً في المعاناة والاكتئاب.

وعلى هذا النحو تستمر الكاتبة في رصد جرائم الغزو والغزاة على الأرض على مدى سبع قصص قصيرة في مجموعتها (دراما الحواس) التي زادت لوحاتها التشكيلية، صورة الغزو جلاء ودلت على نجاح الكاتبة في هذا الرصد الموحية عناوين قصصه: (جوع- لحظة.. ولحظة- دراما الحواس- اللوحة - سيطرات- الآتي من الشمال- تماس - وأمسية بلون القمر) بالجفاف واليباس، وكذلك ألفاظه وأساليبه التي غاب عنها الإيحاء بالجمال والهمس، وغابت عنه روح الرومانسية والحب والأمل التي قتلها العدوان، وأحل محلها جفاف النفوس، وتقطيب الوجوه، واستمرار القهر والغضب في الأرض، وفي البحر، وحتى في السماء التي تأثرت بالجرائم فدام فيها الاكفهرار والوجوم، وابتعد الناس عما ألفوه من احترام متبادل، وتصرفات إنسانية راقية كتلك التي صورتها قصة (العجوز ولحظة العبور) - على سبيل المثال- فالعجوز كان يعبر الطريق إلى الحديقة، وكانت (البطلة) تَقِفُ سيارتها له، مدة طويلة من الأيام.. وخطر لها أن تفاجئه في الحديقة، فدخلت، ولكنها لم تجده، وعلمت من الحاضرين أنه أصيب بسكتة قلبية..!!

الكويت .. الجمال

أجمل صورة للكويت قدمتها الكاتبة، هي تلك التي غرزت في قاع نفسها لكويت الماضي، للديرة التي ولدت فيها، للحي (الفريج) الذي عاشت فيه ولعبت مع صبيته وصبيانه، للبيت القديم الذي غادرته ولم تقدر على نسيانه.. وهذه صورة وجدتها لدى أكثر كتاب الكويت وكاتباته، وكذلك الشعراء والشواعر.. إنها صورة العشق الطبيعي للأرض التي ولدت عليها الكاتبة، ولم تتمكن الحضارة من مسحها من وجدان الكاتبة وإحساسها

لما تمثله هذه الحقيقة من قوة في شخصيه الإنسان، وصدق في التعبير عن ذلك .. هذا ما قدمته في مثل قصة، (خيالات من أصوات المعاول) في مجموعتها (النخلة ورائحة الهيل) التي تصور فيها بطلة القصة، وما أظنها إلا الكاتبة نفسها، تتنقل بسيارتها في الحي القديم وبين الأماكن ويسرح بها الخيال لتتذكر البيت القديم غرفة غرفة .. تتذكر كم ضم هذا البيت من أجيال مضت، وذكريات حب وفرح وألم.. لكن معاول العمال التي تهدم البيت تستمر في الهدم، فلا تملك إلا الخروج والصحوة والعودة إلى الواقع الحالي، وتستمر في قيادة السيارة والتجول في أماكن أخرى.. في رحلة لاستعادة صورة الجمال الذي مضى، وسحره الذي لا ينسى. هذا الجمال يتجسد في كثير من قصص الحب والأنوثة الخاصة بالمرأة وما يتعلق بها .. وبالكويت التي تؤثر الكاتبة أن تدللها وتدلعها بعبارة واقعية لكنها تصدر عن نفس محبة مجلة حين تقول: «... مدينتي الصغيرة..» وهل هناك أجمل من المدن الصغيرة، وأكثر تعبيراً منها عن قيم السلم والأمن والأمان؟!.

التماهي والانصهار في «هكذا أغرد» لـ: الجوهرة القويضي

بقلم: د.فاطمة بنحامي *

أتشرف بأن أضع دراسة موجزة لكتاب بهرني بجمالية كلمه؛ ورقة تعابيره؛ ومصداقية المبدعة التي عبرت؛ فبهرت.

إبداعات أديبتنا الشاعرة والقَصَّاصة، الجوهرة القويضي، خاصة كتاباتها الشعرية التي أتاحت لي الظروف أن أطلع على بعض منها؛ جعلتني ألاحظ من خلالها سِمات خاصة بالشاعرة أغرتني بتحليلها ودراستها ولو بنوع من الاختزال الذي لن يفيَها كل ما تستحقه من تحليل متعمق ودراسة مطولة للإحاطة بكل جوانب الإبداع عندها.

دواوين الأستاذة الجوهرة ساهمت في إثراء المجال الإبداعي مما يمتع المتلقي وهو يتجول بين خواطرها التي جمعت ما يمكن أن يُستشف منه؛ بَعْدَ التمعن والتمحيص؛ تناوله لمواقف إنسانية أظهرت مخزونا من المفاهيم والعواطف الصادقة لصاحبته تجاه الحب الإنساني بكل معانيه السامية.

سأقف هنا وقفة قصيرة مع إصدار الأستاذة الجوهرة القويضي الذي حمل عنوان :

«هكذا أغرد» لأتعرف من خلاله شخصية الأديبة الملهَمة المتخفية وراء الكلمات؛ والتي خلقت ظروف تواجدها بالمغرب نوعا من التقارب بيننا استطعتُ من

---

* كاتبة مغربية.

خلاله تسليط بعض الضوء على رُؤاها وأحاسيسها النفسية التي تضمنها ديوانها والتي كانت ملهِماً استطاعت من خلاله تجسيد ألم فراق الأهل والوطن بابتعادها عنهما؛ طبعا إذا سمحت لي الأخت الغالية بذلك؛ وأعتقد مسبقا أنها لن تمانع تجوالي في روضتها الغناء هذه، التي من جملة ما أغراني بالدخول إليها التسمية الجميلة التي اختارتها لها وهي : «هكذا أغرد» وهذا دليل على أن من جماليات الإبداع النجاح في اختيار أسماء تغري المتلقي بالاطلاع والقراءة.

المطلع على الديوان سيلاحظ الصورة التي صورها مخيال الأديبة لمعاناة الفراق عندما اختارت تبنّي ألم العشق؛ لتصور من خلاله حاضرا اعتمدته مطية لتعود به خلفا – في مجموعة من خواطر كتابها – لتصويرحرقة فراق الوطن والأهل. فالعود إلى الوراء يجعل الرابط قائما مستداما؛ والألم الذي نجده عند الأستاذة الجوهرة القويضي يمثل أحد صوره؛ فحب المنبث الأصلي وقهر المسافات الفاصلة عنه وحلم العودة إليه عوامل خلقت لدى المبدعة أحاسيس قهر يصعب التغلب عليها رغم قرب المكان نسبيا، فالعود صعب؛ ولا شيء يستطيع أن يعوض عن مسقط الرأس.

الكتاب وقفات شفافة كما عبرت عنه صاحبته و تغريد وديع لحِسٍّ مرهف؛ اقترابك منه ومحاولة استنباط خلفياته يُعرفك أكثر بصاحبته؛الحجازية النشأة/الكويتية المقام؛ التي تشربت ثقافة وحب البلدين مع الحنين للبلد الأصل الدائم؛ وذاك جميل ولن يعاب عليها أو على غيرها.

وإذْ أحاول أن أستنبط خبايا تداعيات فراق الأرض/الوطن أفاجأ بحنين الشاعرة القاهر الذي يظهر جليا في جل خواطرها؛ لحبيب؛غائب. حاضر؛ في نفس الوقت؛ فألاحظ التقاطع المتولد بين حب الوطن والحبيب المتخيل؛ فالأديبة وأنت تتأمل ما خطه قلمها تُحِس الألم الدفين الذي يصاحب المهاجر؛المرتحل وإن وجد بعض التعزية في غربته:

﴿ يكفي.... سؤالك يغرقني؛ تهاجر الحاجات عن شواهدها ويبقى السؤال عن الحال؛ أغادر شيخوخة بلدي والوجوه تحملني إلى منفى بالغليان قد أغتال﴾[1]

١ – هكذا أغرد. ص ١٤

وتتجلى نفْس الفكرة بنَفَس أشدَّ حزنا عندما نسمعها وهي تقول :

«لا تنشغل بقلبي يا قلبه حتى ولو كان في الخيال؛ ولا تجسد ثورات الأحداث وملايين الحيل والأماني؛ لا تنشغل يا قلبه وابتعد وانس الحكايات، وتذكر بعبور خفي كنسمة تمرُّ؛ تسلم؛ تحاكي بانسيابية؛ لتسكن شبكة الأوهام؛ تطوقني بأذرعها

إن عز اللقاء؛ وسأمزق صور ذلك الظلام وهذا الغياب...فمن سيختار يا ترى من بين ذلك الزخم سوى الصمت؟؟»٢

نلاحظ ذلك بوضوح وهي تصف تطويق الأوهام لها بعد أن عز اللقاء وخيم الصمت.

إنه منتهى العشق الذي ينتظر قطرات ندى قد تروي مُحبا قهره البعد عن البلد الأصل وإن وجد العزاء في البلد الحاضن.

نرى نفس الفكرة بنفس النبرة الحزينة أيضا أثناء تصورها مشاعر الوجد الذي يسكن الخيال ولا يفارقه.

« رسمت لك رسما في خيالي؛ أغرق في وجدي لرؤية رسائلك كل مساء؛

تقتلني الوحدة دوما؛ ظننت أنك الأنثى التي يتمناها كل رجل؛ تبعثين لي بالصورة الجميلة»٣.

هي ورقة مستملحة تلعبها الشاعرة متحدثة عن الوجد بطريقة تترك للقارئ متسعا ليرى من خلالها ما يريده؛ فقد يتخيل منظورا مخالفا يوصله لمعانقة روحية؛ مباحٌ التصرفُ فيها. وله مطلق الحرية في أن يقرأ الخاطرة من رؤيته الخاصة؛ ولا يلزمه المبدع بتبني منظوره؛ لهذا قد نجد الدراسات تختلف أحيانا بين الدارسين انطلاقا من رؤية كل منهم للعمل الإبداعي.

تجربة الأديبة فجرت خواطر شعرية؛ شهدت لها بالحس الرفيع في هذا الميدان لأن الملهم كان قويا؛ فأمتعنا بوجود حب كله عطاء وبسخاء فكان الملهم الذي شحذ قريحة المبدعة فجادت بمكنوناتها التي تفجرت فأتحفت؛ تقول في « لحظات حالمة »

« أيهما أنت ؟ رجفةُ قلبٍ أم شوقُ عيون؛ تاهت بنا الأيام من بينِ مسافات الظنون؛ تمنيت للوجد دربا وخانتني العيون بشوق لِلَمْوه بحب وفاق سكرات الجنون؛ أيهما أنت؟ يا لحن جنوني

---

٢ - هكذا أغرد. ص : ١٥،

٣ - نفسه ص:١٤.

ويا لحن هجري ويا آه وجودي ونبض هدوئي ويا دهشة غيابي؛ يا سفرا أدركته الريح فتاه بين لهفة الشوق وغياب طلاسم الخرائط»٤.

يالجمال لحظات الحلم الذي عشناه ونحاول استعادته ونحن نرجع وراءً؛ حيث يتجسد ألمنا ونحن نتذكر ماضٍ رحل؛ عشناه مع أحبة نبكيهم بعد الفراق.

يتضح لنا أيضا من الخاطرة الآتية التي تعبر عن عواطف أنثى مضطهدة قهرها حب غير متكافئ؛ وتكون القراءة من هذا المنطلق صحيحة؛ ولكن بعودتنا للشخصية التي نحلل خواطرها؛ لن نتصورها قط تتحدث عن أنثى مضطهدة؛ إنما هي المرأة التي آلمها قهر فراق الوطن وعذاب رحيل أُمٍّ ارتبطت بها ارتباطا فاق حدود الوصف مما جعلها تعاني بعد رحيلها معاناة صيغتْ خواطرَ أمتعتنا كمتلقين بمنظور جديد لَبس صورة مخالفة للصورة النمطية المتداولة للحب بين الرجل والمرأة؛ وباستقراء المضامين سنجد تلك الرسائل المشفرة تسمو عن المفهوم المتداول للحب الذي وإن رحل فمن الممكن

تجاوُزُه. ومن يعرف المبدعة عن قرب يعرف أن شعور الأنا المتغلغلة داخلها المعتزة بنفسها . عندها وعند غيرها من المبدعين -؛كما يلاحظ من خلال بعض خواطرها؛ لا يمكن أن يُضعفه إلا تواجدُ ما قد يقهره؛ لذلك رأينا قهر وعذاب البعد عن الجذور يتضح جليا وهو يجد المتنفس في تصويره خواطر تطفئ قليلا من ألمه ومعاناته:

« إرادتك تحلق فوق خاطري رغما عني آمرة، أتجرَّعُها لأنني لا أستطيع
مقاومة تأثيرك؛ حتى كلماتي لا أزهو بها من دون أن تمرَّ على خيالك
ومشاعرك وحنينك الدائم؛ أكتشف نفسي فيك فلا تستبدّ بي لأبتعد عنك، فكبريائي كبير وأنفتي أقوى؛ لن أقتل قلبي بيدي حتى أزهو بك؛ولكن سأقتل قلبي بصمت لأزهو بك»٥.

انظر هذا التصوير الجميل الذي سَمَا بنا وهو يرسم صورة مثالية لمنتهى التفاني والإخلاص لحبيب؛ رغم بعده لا زال محلقا بالقرب لم يبتعد. وقد يكون اللا شعور هو الذي يحاول أن يصور قوة «الأنا» هنا لا ضعفها:

---

٤ - نفسه، ص:٦٠

٥ - هكذا أغرد، ص:١٥

«أكتشف نفسي فيك فلا تستبد بي لأبتعد عنك فكبريائي كبير وأنفتي أقوى»٦

فجعلنا بذلك نقرأ رسائل مشفرة +كما سبق وأشرت+ ظاهرها غير باطنها لمن رحل ولم يستطع مع رحيله عوداً؛ قد يكون حبيبا وقد يكون وطنا مفتَقداً.

«لم أكن أعرف نفسي حين أقطن وحدي؛ أتَمَاهَى في هدوئي؛ لا أشعر بضمة يدٍ؛ ولا بفتحة باب؛ولا بمواربة إخفاق خذلان؛ أتعرف لماذا؛ لأنني لا أبحث عن حلفاءَ في معركة نيراني الملتهبة؛ لقد تمكنت من مملكتك في أعماقي»٧

وبذلك تسبح بنا الأديبة متجاوزة الرؤى اللحظية المتسرعة؛بمنظور عشق تجاوز المفهوم المتداول ليصبح عشقا أبديا مُخلِّدا/مخلَّدا. فشساعة فضاء الأديبة تُستشَف من طرف الذين عايشوها واستطاعوا أن يروا ذلك المنظور عن قرب؛ لذلك لا يصح أن يُربط؛كما أشرت؛ بمفهوم تَم تداوله بين الشعراء بنسب متفاوتة. بل هو الحب الآخر؛ حب الوطن المفتقَد :

«ماتت خواطري فصرت أمشي في جنازتها لوحدي؛ وألتفت علَّني أجدُ أحدا يعزيني؛ أقبل عليَّ الكثير من أتباعها؛ فتلاشت أحزاني مع ورود خواطري»٨.

يا لهذا الألم المستفحل الذي يقبر الفرحة في مهدها؛ ولا عزاء له إلا أطياف خواطر لا تمل اللقاء والتواجد الذي يبعد الأحزان ويفرح. وكلما بحثنا في ديوان الأستاذة جوهرة إلا ووجدنا هذا الطابع مخيما؛ انظر مثلا ما عنونَتْه ب + أهل الحزن+ فخواطره الثلاثة عبارة عن حزن مستشرٍ صبغ أغلب أسطرها؛ إذ نجد مترادفاته التي تعبر عنه وتصوره متواجدة بشكل ملفت :

«شكرا على زهور العتمة التي زرعتها بداخلي؛تعلمت منك أن أحب الزنابق السوداء كي أبكي.. جئت لأشكرك على موسم الحزن والدمع وليالي الوجع التي نثرتها على أرض أوقاتي لكي تتحقق إنسانيتي»٩

فهذه الخاطرة التي لا تتعدى ثلاثة أسطر كلماتٌ عديدة منها تنضح بالحزن والألم؛ هذا إن دل على شيء

---

٦ – نفسه ص.١٥.
٧ – نفسه، ص : ١٦.
٨ – هكذا أغرد، ص : ١٩.
٩ – نفسه، ص٣٢

فإنما يدل على مدى المعاناة وحرقة الفراق.

انظر أيضا الخاطرة الثالثة من نفس الصفحة التي تتكرر فيها نفس الصورة السوداوية المغلفة ألماً؛ والتي وإن تنوعت مرادفاتها فهي تدور في نفس الفلك:

﴿ لا تستنكروا بشر الأحزان؛ إنهم يستمتعون بالدموع والحزن والشكوى هكذا هم حتى لو أن حياتهم مستقرة، ولا تستحق منهم ذلك؛ ثمة بذرة قديمة مرت بهم؛ لم تزل تربتها حية ويسقونها بعويلهم، كمواسم اللطم والهم وتجديد ذكرى الأحزان؛ لدى أفواج يهوون ذبح أنفسهم وهوانها من أجل من عشقوه؛ وقدموا له القرابين هبات﴾١٠

فبقراءتنا لهذه الخاطرة سنجد مكوناتها اللفظية لا تخرج عما سبقت الإشارة إليه من سطوة المصطلح السوداوي المتألم :

« أحزان. دموع. حزن. شكوى.عويل. لطم. هَمّ. ذبح. هوان»

وهو الطابع المهيمن على الخاطرتين. يتجلى هذا بوضوح أكثر كُلما تجولنا مع خواطر الأستاذة داخل الديوان انظر مثلا قولها وهي تتحدث عن مفهوم؛ فلسفة الموت؛ حيث لن يخفى على المتلقي مقدار ما رافق هذه الإشكالية من قهر لا يمكن تجاوزه :

﴿ إذا كان العقل لا يستوعب فكرة الفراق بالموت؛فإن العقل أيضا لا يستوعب موت العاطفة والنسيان والحواس حاضرة ومستجيبة لم تغبْ... كيف يكون الغياب سهلا والآخر يحتضر شوقا ولهفة وانتظارا؛ في لحظة حاسمة يقرر المرء المنسي أن يخرجه من قلبه؛ ثم يصل إلى قناعة نهائية تامة؛الكلمات لن تغير شيئا ولن تشعل النار بالمدفأة الباردة ولن تعود الحياة للزهور الذابلة في إناء جاف؛ مادام كل شيء قد مضى؛ لنقول لا نهرول وراء الذاهبين﴾١١.

وبوقفة متأملة أخرى سنرى عاشقة؛ الوطن/الأصل؛ تدرك صعوبة تحقيق المتخيل/ المستحيل.

﴿ لو يكف الزمن عن المضي... لو يتوحد الماضي والحاضر مع المستقبل في لحظة عناق وهمية.. لو تتعطل كل الأفلاك عن الدوران وتكون كما كنت... هيهات﴾١٢.

وهذا ما يؤكد البعد الجمالي لعشقٍ

---

١٠ – نفسه.

١١ – هكذا أغرد، ص:٧٩.

١٢ – نفسه، ص: :٩٦

سكنَ القلب؛ ولتعبيرٍ أجاد وأوصل حسرة المعاناة المعيشة من طرف عاشقة الوطن المتعبة؛ ولا عجب أن نجدها تقول في «آلق الكلمات»

« هاجس الحنين يفتح آفاق جمال الفضاء الروحي؛ وفي نورانياته يتفجر»١٣

والماضي بالنسبة لها لحن شُرخ؛ يصعب التئامه فكيف له أن يعود:

« بحر امتلأت حوافيه بزبد الماضي لحنا مشروخا في حنجرة الصمت الظامئ قلبا مفجوعا لو يدري أن الغياب داء؛ والغصة تخنق أحلام الآتي»١٤

هذا الارتباط الجميل المُضني وهذا العشق المتفاني الذي عبرت عنه المبدعة بحرف راقٍ مؤثر؛ يجعل منها أيقونة حب لوطن لم تنسه رغم الفراق وبُعد الوصال:

« قالت له: لا أستطيع أن أتقبل حبك المفاجئ... قلبي ليس ملكي؛ إنه ملك لآخر قد احتكرني مِن زمن؛ إنني ممتلئة حتى الاكتفاء؛ هل تَقبلني بكل ثقلي؛ قال لها: دعيني؛ أنا وهو نتقاسم قلبك وعينيك ولقاءك والتحدث معك بلا تماس؛ قالت: قلبي لا يقبل القسمة؛ وويل لكل آثم عنيد يسرق القلوب»١٥

وإذا كان هذا الذي مَرَّ معنا هو مجرد استنتاج؛ فما سيعقبه لاحقا سنجده متضمنا المفهوم نفسه بتعبير أقرب إلى تسميته باسمه؛ وهو الذي سيقربنا من مخيال الشاعرة في تغريدتها اللاحقة بنسبة كبيرة نسبيا:

« عذرا رياضَ الخلد ففي البيت العتيق مجموعة أشواق أهفو لدوران يجذبني بطاقة ربانية » ١٦

فَنَتَخيلُ أنها قصدت بذكرها؛ «رياض الخلد»؛ مدينة الرياض؛ وبذكرها «البيت العتيق»؛ الكعبة المشرفة. هذا لا يمنع احتمال أن التناول من طرف المبدعة لم يتعدّ كونه تعبيرا لغويا قُصِد لذاته؛فلكل منا الحق في القراءة حسب رؤاه. بالنسبة لي سيغدو هذا الطرح . الذي استنتَجتُه من حب صاحبة الخاطرة لوطن ابتعدت عنه .؛ معلوما أكثر من السابق إذ سيصبح؛المخاطب/ المجهول؛ معروفا لدينا باسمه ومكانه دونما تمويه؛ عندما تناديه مستجدية مستعطفة:

---

١٣ نفسه، ص:٩٨

١٤ انظر، ص:١٠١

١٥ نفسه، ص:١٤٦

١٦ نفسه، ص :١٠٥

﴿ يا أهل مكة الشوق بلغ مني وداده
كيف الرقاد أعواما لا أزوركم ﴾ ١٧

فالرياض ومكة والبيت العتيق حضور لم يغب قط عن مخيال المبدعة.

سنراها أيضا في الخاطرة اللاحقة تعبر بمنتهى الرومانسية عن هذا الحب الذي أقَّض المضجع وجعل من المتيمة شبحا لا يُرى :

﴿ أرى وجهي فى المرآة لا أراني؛ وصمتي على وعد يتحدد بالعودة إليك ﴾١٨

السمة البارزة التي وسمت هذه الخواطر التي مرت معنا هي عشق وطن وأهل؛ تمكن من الأستاذة فعبرت عنه بصدق أظهر مدى الترابط المتداخل بينه الحب وبين حرقة الابتعاد عنه مكانا وزمانا؛ مما جعلها تعيش حرمان المفتقِد الذي تجلى لنا بأجمل صوره في كل الخواطره التي تبَنَّته وصورته بصدق وبكلمات معبرة سبرت الأغوار؛ وجعلتنا نحلق مع أديبة مقتدرة تقدس الأرض وتمجد تربتها؛ هذه الأرض التي نعشقها جميعا ونتمنى السكينة الأبدية بين رحابها الطاهرة.

١٧ – نفسه، ص١٠٥
١٨ – أنظر، ص :١١٥

لننتقل مرة أخرى لنستكشف منتهى التماهي والانصهار مع صورة جميلة معبرة تذكر بالبيت العتيق المهجور الذي لم يبق منه إلا ذكرياته وبعض نخيله الميِّت :

﴿ هنا تسكن أحلامنا؛ انتصاراتنا؛ وَجَعُنا؛ هذا البيت القديم يحكي رواية الأجيال؛ تنازعوا وفرحوا وتناقضوا وتفرقوا؛ لم يبق هنا سوى ذكريات الماضي؛ بعض نخيل عضَّها اليابس من العطش وجدران متصدعة؛ وأثاث يعتريه الغبار....﴾١٩

لقد أمتعتنا الأستاذة الجوهرة القويضي بجمال تجلى وأبهر؛ في مجموع خواطرها التي حلقنا معها مكتشفين جمالية الصور المنتقاة من خلال تغاريدها وإن غُلفت حزنا :

﴿ هنا على هذا التراب صلى الأنبياء؛ هنا اختلس الشوق من الشوق بعد أن نفذ؛ هنا اختبأ الصمت وبادرني البوح بعد أن غادرت؛ هنا يرتعد الحلم وتنشط حباله؛ هنا بين نور الله وإيماني يخذلني الصمت؛ يا ملائكة قلبه لِمَ تطفن حولي وكأني معبد؟؟ هنا يشاكسني طيف الغياب؛ هنا هدأت الضجة بعد أن غادرتهم،

١٩ – نفسه، ص :١٥٨

هنا كيف أفسر علامة استفهام لا تظهر بها ضمة الشوق ولا فتحة ضوء منزوية لشباك مهجور؛ ولا تنوين يجلجل بآيات بينات؛هنا يتزايد العلقم ولا ينقص؛ يشربه كل من حولي بصمت»٢٠

لقد حملت كلمة : «هنا» في هذه الخاطرة حمولتين اثنتين :

١ – الحمولة الأولى : مشاعر الأديبة وهي بالموطن الأصل،

٢ – الحمولة الثانية : مشاعر الأديبة بعد العودة للموطن المستجد

تَجَلِّي الحمولة الأولى؛ يظهر وهي تتحدث عن «أرض الوطن» التي صلى بها الأنبياء وشاركتها الشوق والحلم؛ حيث تواجدَ نور الله .

وتجلِّي الحمولة الثانية؛ يظهر في حديثها عن «ما بعد مغادرة أرض الوطن» حيث طرحت علامات استفهام عن شوق مُضنٍ لجالسة انزوت قرب شباك مهجور يسقيها علقما؛ يشربه معها المحيطون بها في الوطن البديل.

إنه تصوير بمنتهى الروعة استطاعت من خلاله أن تتلاعب بكلماتها التي صورت بها الألم المتولد لسببين :

أ) فرقة تولدت بِعَوْدٍ للموطن المستجد.

ب) ترك وابتعاد عن الموطن الأصل.

هذا الارتباط بالمكان تردد مرارا كما لاحظنا ذلك بتكرارها كلمة «هنا» ثماني مرات في نص لم يتجاوز السبعة أسطر؛ وذاك دليل على مدى ارتباط الأستاذة القويضي بماض لم تنسه وإن ابتعدت عنه زمانا ومكانا

« هاجس الحنين يفتح آفاق جمال الفضاء الروحي وفي نورانيته يتفجر»٢١.

من جملة الملاحظ أيضا نظرة المبدعة وهي تناقش مفهوم الوجود الإنساني؛ إذ ترى أن لا ألم كألم لحظات المخاض . يا آه وجودي .؛ لِيتلُوَه الهدوء الشامل؛ وقد يصبغ كلَّ ذلك بُعْدُ كنه حياة لا يمكننا تكهنه؛ وقهر غياب

«أيهما أنت يا لحن جنوني؛ويا لحن هجيري؛ ويا آه وجودي ونبض هدوئي؛ ويا دهشة غيابي؛يا سفرا أدركته الريح فتاه بين لهفة الشوق وغياب طلاسم الخرائط»٢٢

نظرة فلسفية متعمقة من المبدعة في محاولة منها لرصد حقائق كونية مبهمة،

٢٠– هكذا أغرد، ص:١٥٥

٢١ – نفسه، ص:٩٨

٢٢ – نفسه، ص: ٦٠

حين تناولت ثنائية الوجود وعدمه؛ نستشفها من خلال معاناة جسدتها الخاطرة السابقة؛ فكان التفوق الذي تجلى من خلال ذا ك التناول.

مما يمكن ملاحظته من خلال الدراسة أيضا؛ تَمَثُّلُ صاحبتها لمفاهيمَ فلسفية حِكْمية نثرتها رؤى بليغة في ما وسمته ب: «آلق الكلمات» حيث تقول:

« إن الحرية في الاختيار لا تعني إلا اختيار الحرية» ٢٣

وذاك رأي صائب وحكيم. وفي نفس السياق نستمتع بما جادت به وهي تغرد: «لا هزيمة لامرئ لا يعرف اليأس» ٢٤، لتضيف قائلة في معرض مَاعُنون بـ:آلق الكلام: «لا تقتفي أثر إنسان لا يفقه لغتك» ٢٥.

ومن التغريدات الحكيمة التي جادت بها قريحة الأستاذة الجوهرة ويمكن اعتبارها مثالا يمكن اتخاذه شعارا؛ هذه التغريدة الجميلة التي صورت من خلالها ذكاء المرأة الذي يمكنها من الامتلاك المعنوي للزوج؛فلا يراها إلا هي؛ وإن مرّاتٍ أخطأ فالعود لها يكون دائما دون غيرها؛ لنقرأ تغريدتها الجميلة :

« قال لها الزوج أطلقيني؛ دعيني أذهب لأصدقائي. قالت : ولكنني السمكة وأنت الماء فكيف أعيش؟» ٢٦؛ لنتخيل الشخصية زوجة تطلب إطلاق سراح؛ فيكون

ذاك موقف الزوج منها ؛ألا تكون التغريدة بهذا لصالحنا جميعا نساءً ورجالا.

صورة المرأة هنا هي التي تستطيع أن تنجح وتكون النموذج المرغوب المحبب، والخاطرة الآتية يستشف منها مجموعة مواصفات تجعلها المرأة المحترمة في نظر الرجل:

« قال لها :اصنعي من أيامك عقدا مضيئا تكونين به شامخة غير مبتذلة؛ إن بدأت كنجمة لن نودعك بشفق، فلتكوني فجرا نهما للعمل؛ فلن أضغط بقلمي على خوفك ووجعك؛ فقد حان للفراشات المشرفة أن تتجول في الأمكنة المخضوضرة، نرفض أن ترجعي أَمَةً؛ وأن تضيعي في القلاع المربكة، لا تحدثوني عن جميع الخيبات؛.... قالت أحييك لفهمك عمقي» ٢٧.

من خلال ما سبق يتجلى شموخ المرأة

---

٢٣ - نفسه، ص:٩٩

٢٤ - نفسه.

٢٥ - نفسه.

٢٦ - انظر، ص:١٢٣

٢٧ - ص : ١٣٣

غير المبتذلة التي ترفض أن تكون مجرد أَمَـةٍ مقصية لا دور لها إلا إرضاء رجلها المستأسد.

ولا عجب إذ نجد الأستاذة تتحفنا إلى جانب كل ما مَرَّ معنا؛ بحكم عميقة أخرى لها وزنها من ذلك قولها مثلا: ﴿عندما تريد ن تكون حُرًّا عليك أن لا تؤذي الآخر حين تمُدّ يديك لاستنشاق هواءالحرية﴾ ٢٨.

وكذلك عندما تقول: ﴿ يشيب الليل من الزمن المتراكم نسأله لا يُجيب لقد أضناه الوقت وكثرة المتسائلين فأصبح تمثالا عجوزا لا يفهم﴾٢٩

هذه مجرد نتف قليلة مما زخر به كتاب الأستاذة الجوهرة؛ التي سلطت الضوء على مواقف متعددة مِن محيطنا الكوني الذي يعج بمتناقضات متلازمة الوجود لا سبيل لإنكارها، وقد تَمَّ تناولها من خلال بعض الخواطر التي أوضحت مدى القهر الذي نكون ضحيته بسبب هذه المواقف المتناقضة المعيشة يوميا فنرى :

« الفرح/الحزن؛ الحب/الكراهية؛ السعادة/ الغبن»

كلها متضادات اجتمعت مع بعضها في حياتنا ولا سبيل إلى التفرقة بينها أو الابتعاد عنها.

من خلال الديوان تطالعنا أيضا رؤى صائبة حكيمة؛ وذلك من خلال التناول لبعض المواقف التي يصعب تغييرها؛ ونجدها في كل المجتمعات والبيئات:

﴿ وجهان أنت.. هل أستطيع أن أغير طبيعة البشر سوى بإعادة النظر﴾٣٠.

من جملة ما لفت نظري في هذا الكتاب؛ موقف المبدعة من معاناة الشعوب العربية الحالمة بأمل سيتولد من مخاض ربيع عربي تمنت منه تحقيق أحلام صعبة التحقيق،إلا أنها وُئِـدَتْ في مهدها، فانطفأت الصورة المتخيَّلة لتحقيق المستحيل بتلك الانتفاضات التي كانت وازنة ضد القهر والظلم إلا أنها خَبَتْ في بدايتها.

لنقرأ ما سطرته الأستاذة في ما وسمته بـ: « قالوا عن الربيع العربي»:

﴿ جاءنا زمن الفوضى وانعدام المفاهيم وما جاء به غير سراق المقتدرات بمختلف أنواعها﴾٣١.

وفي خاتمة تغريدها؛ وهي تتناول هذا

---

٢٨ - انظر، ص : ١٠٦

٢٩ - نفسه، ص: ٩٧

٣٠ - نفسه، ص:١١٩

٣١ - نفسه، ص:١٠٦

الموضوع؛ كان لرأيها متنفس عبرت به عن موقف واضح من الربيع العربي الذي لازلنا نعاني من قحطه وسلبياته بعد أن تحول خريفا؛ ولم يتحقق الحلم؟.

﴿ تساقطت أوراق الخريف وما هي سوى حُكام تعدوا مرحلة الخريف: تساقطت مع هبوب رياح نفختها رئات شعوب موبوءة بالقهر والظلم﴾٣٢.

أتمنى أن أكون مقاربة الصواب في هذه الدراسة التحليلية لعمل له وزنه؛ والذي لازال يتضمن جوانب أخرى يمكن البحث فيها لاكتشاف مكنوناتها القيمة.

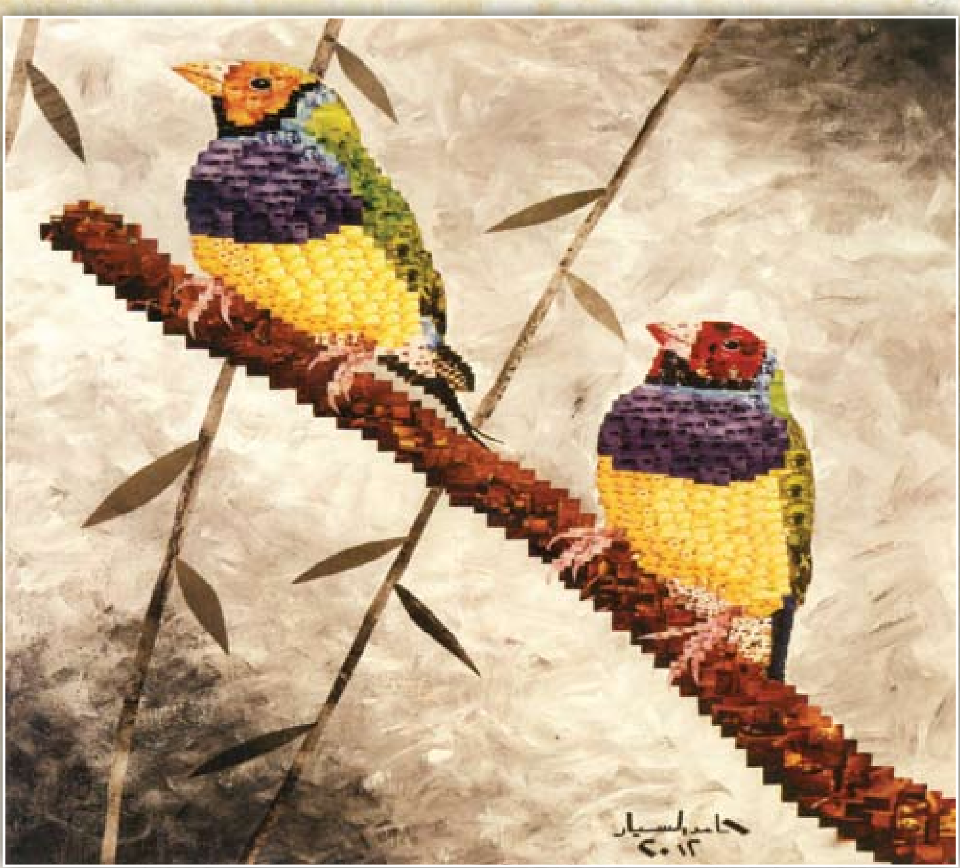
وهذه هي مبدعتنا؛ الجوهرة القويضي، كما عرفتها من خلال تعاملي معها ومع إبداعاتها الوازنة؛ فدمت أستاذتي لحرفك المشرق ولكَلِمِك المعبر الذي جمع الحب والحكمة بمقاربات شمولية ناجحة.

---

٣٢ - انظر، ص:١٠٧

البيان

مقالات



اللوحة بريشة الفنان حامد السيار

مبدعون من الأدب الكويتي د.يعقوب يوسف الغنيم

بقلم: علي عبد الفتاح *

د. يعقوب يوسف الغنيم نجم بازغ في آفاق العلم ورائد من رواد والفكر ومؤرخ أضاف إلى التاريخ صفحات مضيئة عن وطنه كما أنه أحد الشعراء الذين رسموا أحلامهم على ضفاف الخليج وأشرعة المراكب المسافرة في بحار الزمان.

المولد والدراسة

ولد في الكويت عام ١٩٤١ ودرس في كتاب ملا محمد أحمد والتحق بالمدرسة الأحمدية ثم مدرسة المثنى وسافر إلى القاهرة ليحصل على الشهادة الجامعية من كلية دار العلوم ثم أعد رسالة الماجستير والدكتوراه. بدأ حياته معلماً للغة العربية في ثانوية الشويخ ثم أصبح مديراً للتلفزيون وشغل منصب وكيل وزارة التربية أكثر من أربعة عشر عاماً ووزيراً للتربية عام ١٩٨١م.وظل دائماً مهموماً بقضايا بلاده منذ أن بدأ حياته معلماً للأجيال يزرع كل يوم باقات من الأمل في حدائق الروح .

جولة في أفكاره

د. يعقوب يوسف الغنيم عاشق للغة والأدب ومنهجه في جميع دراساته وبحوثه قائم على التحليل النقدي العلمي الذي يحدد الظاهرة ويفسرها ثم يرصد جوانبها وأسبابها حتى يصل إلى النتائج ويقرر الحقائق .وإذا قرأت كتابه عن المؤرخ "أحمد البشر الرومي" تشعر كيف ينسج من التفاصيل الحياتية صورة لحياة البشر الرومي وإسهاماته في التأريخ والسيرة حتى يجسد

---

* كاتب مصري

أمامك الشخصية بكل سماتها الفنية والإنسانية.

والكتاب يجسد مواقف كثيرة عاشها الغنيم مع صديق عمره الرومي حيث كان يصاحبه في جولاته ويناقشه في أدبه ورحلاته وتعلم منه معاني الحياة ومواقف المثابرة والصبر في مواجهة الشدائد. واستطاع الغنيم أن يجسد روح الرومي في شفافية مؤثرة .. ويحلل شخصيته في عذوبة بالغة .. ويعرض لأفكاره في دقة صادقة .. ويستعرض إبداعات الرومي وعطاءه الفكري في رؤية واقعية. ويقول عنه :

"البشر أحد رواد النهضة الثقافية في الكويت، وأحد الذين ولدوا وترعرعوا في مرحلة حساسة، وأرسوا أسس الحياة الثقافية في هذا المجتمع الناشىء، وأعطوا في مجالات الكتابة والفكر والفن والثقافة والتراث، فكأن يداً قدرية خفية كانت تساندهم وتدفع معهم في همة ونشاط عجلة النهضة في عقود التأسيس خلال ما يزيد على نصف قرن ١٩٢٠ - ١٩٧٠."

أبدع د.الغنيم في رسم صورة مرهفة الحس لشخصية الرومي واستطاع أن يجعلنا أن نعايش تجربة حياتية ممتزجة بالنعيم والشقاء والفرح

رائد الفكر والمؤرخ والشاعر والأديب المبدع الذي وهب ذاته لوطنه.

والحزن حتى وفق في تصوير تلك الحياة العريضة في نحو ٦٠٠ صفحة. ويشمل الكتاب أيضاًعرضاً لشخصية البشر ويومياته وتقارير رحلاته وبحوثه، مع قدر وافر من المصورات والفهارس.. فجاء الكتاب موثقاً بالصور والحوارات والأحداث والمواقف الكثيرة والتأملات التي عاشت في خاطر الرومي ونبوءاته عن الغزو العراقي للكويت.

ومن أعجب ما جاء في الكتاب عن مذكرات الرومي ما كتبه يوم الأحد ١٩٦٨/٨/٢٥.يقول: ""بعد أن استيقظت في الخامسة.. عدت فنمت.. فحلمت أن العراق احتلت الكويت.. وأن ضابطين بمكان ما جالسان مع أكثر من خمسين شخصاً من أعيان الكويت.وقد أرسلوا بعض الجنود لشراء ساعات لهم".

وقد بحث الغنيم أيضاً في حياة الشاعر الكويتي راشد السيف في محاولة جادة لتوثيق التراث الشعري وحفظه من الاندثار حيث يصبح نافذة منفتحة أمام الأجيال الجديدة ليكون

> ساهم في نهضة الفكر والتعليم ودعا إلى نشر التراث والبحوث العلمية.

هناك تواصل بين الجديد والقديم.

تاريخ الكويت

حين تقرأ في كتب د. الغنيم تشعر بهذه العاطفة الوطنية المتقدة بهوى الكويت وعشقها وسحر المكان الذي تتعانق فيه الصحراء مع الخليج في صورة درامية يبرز على ضفافها وجه الإنسان الذي سكن المكان واستطاع أن يواجه تحدياته وأهواله وظل واقفاً لا يلين أو ينكسر ..وكان عليه أن يواجه الغزاة .. والأطماع دون أن يفقد بعضاً من صموده.وعبر الغنيم عن هذه الصورة المشرقة لبلاده وأهلها من خلال كتاباته ومنها: "ملامح من تاريخ الكويت "وكتاب "الكويت تواجه الأطماع "وكتاب" الكويت عبر القرون" ليصور لنا مشاهد ممتزجة بالتاريخ تسرد لك الأحداث في فخر واعتزاز وتبرز الجانب الوطني في أعماق هذا الإنسان.

معالم الكويت

أما في كتابه عن معالم الكويت فقد بحث الغنيم في أسرار المكان حيث بدأ يرجع إلى تاريخ مواقع المحافظات التي مازالت تحتفظ بمعالمها القديمة وأخرى قد أصابها لمسات العصر الجديد وهي محاولة لتحليل ظاهرة المكان ودلالاتها وما ترمز له.

في هذا الكتاب يحلل الغنيم الجغرافيا التاريخية في الأماكن والمعالم المختلفة التي تشكل صورها العامة.. وتكتشف أسماء تلك المعالم عن أحوال المنطقة وجذورها التاريخية.. فقد تدل الأسماء على أنواع من النباتات أو الصخور أو الأشخاص والقبائل التي ارتبطت بالمكان أو الحوادث التي مرت به.

ويشير الغنيم إلى تعرض أسماء الأماكن في الجزيرة العربية ودولة الكويت إلى كثير من المتغيرات، وبخاصة في العصر الحديث، فاختفت أسماء كانت معروفة لدى الأجيال السابقة وحلت محلها مسميات جديدة لا تمت إلى الواقع الجغرافي بصلة، وأطلقت بعض الأسماء القديمة التي كانت معروفة ولها ارتباط بأحداث تاريخية معينة على مواقع جديدة بعيدة عن مواقعها السابقة.

مواقع ومشاهد

أما في كتابه الآخر«مواقع ومشاهد

كويتية" تطرق إلى مواقع ومعالم لبداية المكان وصحوته وتاريخ بناء بعض البيوت الأولى وكذلك أسماء النقع وهي أحواض مائية لرسوّ السفن وحمايتها من أمواج البحر ويتم فيها إصلاح السفن والعناية بها. ومن هذه النقع التي تحدث عنها وأشار إلى أهميتها نقعة الغنيم وبركة الغنيم وفريج الغنيم والجمرك وقصر السيف، والسجن ونقعة الشيوخ ونقعة معرفي، ونقعة بن خميس، وبيوت بوقمّاز والروحي والعسعوسي وبيت «دكسن» وبيت هلال المطيري وغيرها.

وهناك للمؤلف كتاب "أواره لمحة من تاريخ الكويت "١٩٩٥.. «وكتاب همس الذكريات» صدر سنة ١٩٩٨وفيه ادب وتاريخ وذكريات عن المجتمع قديماً وكيف كان التآلف والتمازج بين أفراد الشعب، والسفن التي صنعوها فانطلق الشعب إلى أقاصي البلاد، ليُصِّدر المنتجات الزراعية العراقية خاصة التمور إلى شرق وجنوب أفريقيا وإلى موانئ الهند الكبرى. والكويت رغم بيئتها الصحراوية القاسية كانت قاطبة لمختلف الشعوب، لما فيها من أمان وسلام وألفة بين الشعب والحكومة..

ويعرض المؤلف د. الغنيم دور الرحالة الأجانب والدبلوماسيين ومنهم الكولونيل هارولد دكسون الذي أحب الكويت منذ حل بها في سنة ١٩٢٩ معتمدا لبريطانيا، وكانت له صداقات مع أبناء الكويت، صاحب كتاب "الكويت وجاراتها" واختلط بالحضر وأهل البادية مع زوجته المعروفة أم سعود، ولها كتاب: أربعون عاما في الكويت من سنة ١٩٢٩ الى ١٩٦٩ ولها أبحاث ومقالات.. وكانت مع زوجها يمتطيان حصانين ويجوبان الطرقات في مدينة الكويت وضواحيها ويحيّيان الأطفال والأسر، وأصحاب المحلات.. ويورد المؤلف.. يعقوب الغنيم قصصا طريفة قد ارتبطت مع الأجانب الذين حلوا بالكويت.

في سنة ١٩٠٩ عين الكابتن شكسبير معتمداً سياسياً لبريطانيا في الكويت خلفاً للكولونيل (ناكس) وقام شكسبير بافتتاح مركز للبريد وتم فتح مكتب البريد في ٢/١/١٩١٥ وذلك في مبنى قد استأجره سلفه سنه ١٩٠٤ وجعل ديكسون هذا المقر سكنا له وهو في بناء جميل عرف ببيت دكسون أمامه حديقة جميلة على البحر تزدان بالشتاء والربيع بأجمل الورود

والأزهار ولها سور منخفض نتسوره لقطف الزهور ونحن صغار وهناك من يجبل في الحديقة للطيور .. ذكريات جميلة وردت في «الأزمنة والأمكنة» للدكتور يعقوب الغنيم

قصة كاظمة

د. الغنيم مهتم بتاريخ بلاده وتوثيقه بصورة مستمرة فهو يؤكد دائماً أن أرض بلاده ليست مجرد منابع للنفط ولكنها منبع لكفاح الإنسان وارتباطه بالأحداث السياسية ومساهماته في تمهيد تلك الأرض لتصبح الكويت من الدول الرائدة في العلوم والتكنولوجيا. ولذلك تعتبر منطقة كاظمة هي رمز لعبقرية الإنسان التي أشار إليها عالم الجغرافيا جمال حمدان حين حاول أن يبحث في كفاح الإنسان فوق الأرض وأسرار المكان ومدى ارتباطه بالتاريخ.

ولذلك أعاد طباعة كتابه "كاظمة في الأدب والتاريخ" الذي صدرت طبعته الاولى ١٩٥٧ ثم حين توافرت للدكتور غنيم معلومات كثيرة وظل يبحث في تاريخ الكويت ليواجه محاولات الغزاة محو هوية هذا الوطن الذي ناضل وواجه الغزاة حتى تحررت الكويت. بإيضاح هذا الأمر تفنيداً للادعاء العراقي ورداً عليه.

ومن هنا كان ضرورياً أن يكون الحديث حول منطقة كاظمة التي ورد ذكرها في كتب الأدباء والشعراء والمعاجم القديمة وكتب التاريخ والرحالة الذين أكدوا أن منطقة كاظمة من المناطق القديمة في الكويت ويقول: لقد كان هذا الغزو سبباً في تتبع كل ماورد عن المواقع الكويتية قديماً وحديثاً واهتم الباحثون من مؤرخين وجعرافيين بإيضاح هذا الأمر تفنيداً للادعاء العراقي ورداً عليه فخص كاظمة من ذلك الشيء الكثير ولذلك ظهرت على الخرائط الملاحية العالمية وفي الأطالس المختلفة قبل اسم القرين أو الكويت.

وكتاب كاظمة دراسة تاريخية وجغرافية ممتعة وتعتبر من الوثائق التي تؤكد استقلال الكويت منذ قديم الزمان وعدم خضوعها لبلد أو غزو خارجي. وأورد المؤلف ماقاله المحققين عن كاظمة وموقعها فيقول ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان:

-كاظمة جون على سيف البحر في طريق البحرين من البصرة بينها وبين البصرة مرحلتان وفيها ركايا كثيرة وماؤها شروب واستقساؤها ظاهر

وقد أكثر الشعراء من ذكرها.

ومن الفصول الطريفة في الكتاب عن شعراء كاظمة ومعركة ذات السلاسل والقصص والحكايات الشهيرة للعشاق في كاظمة بحيث يتجلى أمامك المكان بسحره وملامحه التاريخية ومعارك أبطاله ولذلك أقترح أن تكون هناك طبعة جديدة من هذا الكتاب تضم إلى مناهج الطلاب في المرحلة الثانوية.

الغنيم .. شاعرا

وقد كتب الغنيم قصيدة عن «كاظمة في الأدب والتاريخ» قال فيها:

مـــاذا أقـــول لكـــم وأنتـم أهلها
القول قولكـم هنـــاك وقـولها
حقب من التاريـــخ لـو لم نرها
نطقــت بـذاك تلالها وسهولها
شهدت له ذاتُ السلاسل بالعلا
يوم انثنت في الهاربين فلولها
يــا أرض كـــاظمة وأنت عزيزة
ومواقف التاريخ فيك أصـولها..

د.يعقوب يوسف الغنيم يمتلك موهبة شعرية عبر من خلالها عن كل ما يجول في ذهنه وعاطفتة من أفكار ومشاعر صـادقـة وقـد وصــف شـعـر أحمد السقاف ومواقفه القومية والوطنية في قصيدة طويلة يقول فيها:

تغنيـتَ أحـمـدُ فـــي كل فنّ
وطفت بشعرك في المشرقين
ونـــاديـــت أمتـــنا جاهدا
لعلك أن تجــدَ الســامعين
تقول انهضوا وتقـول اعملوا
ولا زلت تصرخ في النـائمين
وحـاكيت كل معانـــي الحياة
وصغت لها كل قول رصيــن

وفـي الجـانـب الـوجـداني يعبـر عن مشاعر الأسـى والحـزن حين تحتشد الذكريات في خاطره وينظر إلى العالم حوله نظرات يغلفها الحنين والقلب يبكي لوعة في شـوق إلـى تلك الأيام التي مضت بكل ما فيها من شجون وعذابات فيقول:

قـــد كـان في ذاكرتي خاطراً
ومـــا هـــو اليوم بخطّار
بـالأمس كـــم ردَّدتُه منشـدًا
ينـمّ عن مكنون أسراري
أرسلْتـه والنـفـس مشغوفـةٌ
فجاء من روحي وأغواري
يا لهف نفسي من زمان مضت
فيه صبـابـاتي وأوطـاري
ذقـت نعيـم العيش فـي ظله
مابيـن خـلاّني وسـمّاري

مؤلفاته

- المقرب في النحو لابن عصفور (دراسة وتحقيق)
- ابن عصفور النحوي (حياته وآثاره ومنهجه)
- العدان بين شاطئ الكويت وصحرائها

كاظمة في الأدب والتاريخ

- أحمد البشر الرومي.. قراءة في أوراقه الخاصة
- الألفاظ الكويتية في كتاب لسان العرب
- همس الذكريات
- ملامح من تاريخ الكويت
- السيدان... قبس من ماضي الكويت
- راشد السيف... حياته وشعره.
- ديوان كوكبة السعودية من شعر زين العابدين الكويتي
- من أين يأتي النسيان ؟ : الكويت وعبدالكريم قاسم.
- من تاريخ شارع كويتي: الشارع الجديد شارع عبد الله السالم.

الكويت ١٩٥٠.

- مواقع وشواهد كويتية على ساحل جون الكويت الجنوبي.
- أواره: لمحة من تاريخ الكويت الأغاني.
- الكويت تواجه الأطماع.
- الكويت عبر القرون.
- دوله الكويت: الأماكن والمعالم
- حديث الأمس للناشئة (٨ أجزاء)
- حصل على جائزة مؤسسة الكويت للتقدم العلمي ٢٠٠٧
- مقالات أسبوعية في جريدة الوطن الكويتية بعنوان الأمكنة والأزمنة عن فترات من تاريخ الكويت.
- له الكثير من القصائد لكنه لم يجمعها في ديوان شعري. أشهر ما كتبه من قصائد الأوبريتات الوطنية وخاصة أوبريت حكاية وطن (٢٠٠١) وأوبريت الشراع الكويتي (٢٠٠٧).

القصة القصيرة جدا البنية والماهية والتجربة الإبداعية

بقلم: د. مصطفى عطية جمعة *

يمكن الجزم أن شكل «القصة القصيرة جداً» هو الشكل الطاغي في الكتابات الأدبية المنتشرة الآن، أو بالأدق في العقد الأخير، وما علينا إلا أن نتأمل أكثر ما يكتبه الشباب، ونجده مبثوثا في المنتديات ومواقع التواصل الاجتماعي، أو في الصفحات الثقافية في الصحف والمجلات، ونضع تصورا إحصائيا، لنكتشف أنه الشكل الأكثر انتشارا، والأعظم رواجا على صعيد القراءة، لدواع عدة تتصل بقصر كلماته، فتسرع العيون في قراءتها والعقول في فهمها، ليكون هو الأكثر كتابة وقراءة.

حول التلقي القرائي والنقدي:

لقد ساهم الحاسوب وأجهزته المتعددة سواء كانت محمولة أو لوحية أو هاتفية، في سحب القارئ إلى عالم تقني رحب، يصاحبه متى تنقل أو استقر، بل متى اضطجع أو جلس، وهذا القارئ متعجل بطبعه، لا صبر لديه على قراءة صفحات، فديدنه التصفح، وسلوكه العجلة، وشعاره الرغبة في الاستئثار بأكبر قدر، بغض النظر عن العمق الفكري وما يتعلق به من تذوق إبداعي، وأسلوب ثري، فالقضية عنده لهاث يلتقط فيه ما تطوله عيناه، فتكون بغيته القصة الشاعرة بنصوصها.

وبالطبع لا يقتصر الأمر على عالم الفضاء الإلكتروني، بل يمتد إلى النصوص المنشورة ورقيا، وقد ظهرت مئات الكتب التي تحوي هذا الشكل أو ما يشابهه، وبات هناك قرّاء لهذا اللون تحديدا يفضلونه على ما عداه وسرعان ما يجدونه منشورا.

---

* كاتب مصري

وقد حار النقاد أمام توصيفها، فالنصوص الجيدة في القصة القصيرة جدا تكوّن عالما سرديا بليغا، وبعضها يقدّم بصياغة شعرية. فمن النقاد من عدّها نصوصا حرة لا قواعد يمكن الاحتكام إليها في الحكم، ومنهم من أدخلها في قصيدة النثر، ناسيا أن قصيدة النثر في الشعرية العربية المعاصرة استوت على عودها، وباتت ذات باسقة سامقة، تستند إلى جذور متينة. ومنهم من جعلها ضمن القصة القصيرة، وتناسى أن القصة القصيرة لها شروطها الفنية التي لا يمكن أن تشمل في طياتها هذا الشكل الجديد. وبالتالي، ليس أمامنا إلا أن نغوص في ثنايا نصوص القصة القصيرة جدا، لنخرج بتصور منها، يؤطرها، ويفلسف أبعادها، ويطرح المزيد من الرؤى في تكوينها. لأن النقد عملية تالية للإبداع، فلينطلق المبدع كما يشاء، المهم أن يبدع الجديد الأصيل، وليس المزيف المكرور. ومخطئ من النقاد من يضرب صفحا عن متابعة هذا الشكل الجديد، فهذا لن يمنع انتشاره، وإنما يساهم في غربة الناقد نفسه عن الواقع الإبداعي المتجدد، مثلما يحرم المبدعين من إرشادات النقاد. ويجعل الأمر يتطور أكثر، لنجد أشباه مبدعين وكتّاب، ينصّبون أنفسهم نقادا وأصناما للتنظير.

ولاشك أن فهم هذا الشكل، يحتاج إلى نقاش هادئ، يستقرئ نصوصه الجيدة، ومن ثم يخرج بنتائج مستقاة من النماذج، بمنهجية نقدية حرة، تنطلق من النصوص نفسها، ولا تفرض عليها تصورات مسبقة، أو قناعات جامدة. وهذا يستلزم ناقدا ذا ذائقة مرنة، تقبل الجديد برحابة صدر، تصف وتنظّر وترشد، وتضع القواعد التي يمكن الاقتداء بها عن فهم أو تحطيمها بوعي.

المفهوم والماهية

يتنازع مفهوم « القصة القصيرة جدا» تعريفات عدة، تتصل كلها بالماهية، ونعني بماهيتها: شكلها ومضمونها، فالشكل عنوانه القصر حجما، والإيجاز لغةً، وأما المضمون فهو يجمع العالم في ومضة، والحياة في فكرة، والأحداث في لمحة.

فالثابت أن هذا الجنس الأدبي يتميز بالتكثيف والسردية، أي أنه جمع درامية القص بكل ما فيها من حدث وشخصية وزمن وحركة، مع جماليات الشعرية المتمثلة في التكثيف اللفظي بجمل موجزة، وكلمات موحية، حاملة الكثير من الحمولات الدلالية، ولا

بأس من توافر الإيقاع النغمي في بعض النصوص، أو الاكتفاء بالنثرية في نصوص أخرى. وهي بهذا تتلاقى مع مفهوم الكتابة عبر النوعية الذي يتجاوز (أو يعبر) الأنواع الأدبية، من خلال استيلاد شكل أدبي من جنسين أدبيين مختلفين، فيستلهم مزايا الشعر والقص وجمالياتهما، ويمزج بينهما، بغية إنشاء شكل أدبي جديد.

وهناك من القصة القصيرة جدا ما يسمى « القصة الشاعرة «، وقد سعت تجاربه الإبداعية إلى صياغة قصة قصيرة جدا بصياغة شعرية، تستند إلى الوزن الشعري، وهو الشكل الذي يتقاطع مع أشكال قريبة منها مثل: القصة القصيدة، والقصة القصيرة جدا، والقصة الومضة، والشعر الدرامي، والشعر القصصي.

ونحن نشهد حضورا لهذا اللون في عصور أدبية سابقة وحالية، بأنماط مختلفة، بعضها في ثنايا النصوص الإبداعية مثلما نجد في مطولات الشعر الجاهلي أو في القصائد القصيرة في عصور الأدب العربي المتتابعة، وكثير منها عبارة عن قصة مكتملة مصاغة في قالب شعري، وهناك نصوص مشابهة فيما يسمى بالشعر المنثور أو النثر المشعور، وغيره مما يمكن أن نجده بشكل أو بآخر في قصائد النثر، وقد نصادف به في قصائد التفعيلة،مثل شعر صلاح عبد الصبور وأمل دنقل.

الرؤية والتكوين

إذا تأملنا نصوص القصة القصيرة جدا، سنجد أنها تعبر عن رؤى عديدة، بعضها يمثل ثواني مرت في حياتنا، وبعضها يختصر الحياة كلها، وقد تعبر عن دقائق أو أيام أو سنوات، ولكن الثابت فيها أنها تختصر ما هو رحب، وتوجز ما هو مسهب، وتقول في كلمات ما يمكن أن يقال في صفحات طوال.

إنها شكل مستقل، قد نجده في ثنايا بعض النصوص، ولكن يظل له خصوصيته المميزة، لأنه يعبر في قالب بليغ عن خطرات أو مواقف أو أحداث أو تأملات في حياتنا، لا يمكن ذكرها في رواية أو قصة قصيرة لأنها مجرد إلهامات عابرة في ثوان أو أجزاء من ثانية، ولا تصاغ في شكل الخاطرة، فالخاطرة تظل في النهاية شكلا أدبيا بلا ملامح ولا علامات، أي نص سائل لا وعاء يحويه.

فتأتي القصة القصيرة جدا ذات علامات واضحة محددة: أساسه حدث وقد يكون حوارا، وعلامته روح القص، وأسلوبه بليغ يقترب من الشاعرية في كثير من الأحايين، مع ملاحظة أن الأسلوب هنا ليس به

تنميق الصورة ولا الإكثار من الرمز، والتراكيب والألفاظ الموحية، لأنه مقيد بالبعد السردي، أي أن الجملة لابد أن تساهم في البنية السردية، وإلا صارت حلية زخرفية، فتصبح عبئا على النص، وليست مساهمة في بنيته وأسلوبه.

وبعبارة أخرى فإن الأسلوب في القصة القصيرة جدا، يجب أن يكون بليغا سرديا أو هو سرد مصاغ بأسلوب بليغ، وهي بلاغة الجملة السردية، فهي تتكون بلاغيا، وتبدو براعة الأديب في قدرته على الصياغة بألفاظ موحية، وتراكيب لغوية مؤثرة، بحيث تساهم الجملة في حركة السرد في القصة من ناحية، وفي الظلال والأصداء المتولدة عن كلماتها وتعبيراتها من ناحية أخرى.

وإذا كان الأسلوب ضمن القصة الشاعرة، فهو يجمع القص بكل ما فيه من حدث وتشويق، وجماليات الشعرية بكل ما فيه من بلاغة وشفافية وسمو وحكمة، بجانب الرموز والإشارات التي لا تخفى عن القارئ اللبيب الذي يحب هذا اللون.

فيمكن القول: إن القصة القصيرة جدا تلتقط نثيرات النظرات، وجزئيات الخطرات، ومنمنمات الأقوال، لتجمعها في نصوص عديدة، تدفع المتلقي للتأمل والتعلم،يتلقى حدثا سرديا قد يكون دون زمن ومكان ولكن فيه حدث، وأيضا حكمة.

فهذا الشكل الأدبي نبت استجابة لحاجة جمالية ونفسية وفكرية، فالإبداع مثل الاختراع، تولّده الحاجة إليه، فإذا ظن البعض أنه من السهل ابتكار شكل جديد والدعوة إليه ؛ فإنه يكون واهما ؛ لأن أي جديد إن لم يعبر عن حاجة يصبح حلية وزخرفة سرعان ما يواريها النسيان، حيث يرتبط انتشاره بمدى استشعار المبدعين أن هذا الشكل يمكنه التعبير عن مناطق في أعماق نفسية المبدع، لم يتسن لها الخروج إلا عبر هذا المسار الإبداعي، وتلك النقطة الأبرز التي ينبغي أن يتصف بها.

ومن هنا، ينبغي القول: إن القصة القصيرة جدا لا تطلب ذاتا مبدعة جعلت الأسلوب البليغ ديدنا لها فقط، بكل ما فيه من جماليات الشعرية والبلاغة، وقد تكون في الذات المبدعة روح شاعرية تخلو في أحايين كثيرة من معايشة الواقع، وناسه وتفاصيل الحياة اليومية، فهي تطلب ذاتا مبدعة اتخذت من القص سبيلا لها، بمعنى أنها مهمومة بوصف التفاصيل والأحداث ورسم الشخصيات، غير مهتمة بالحكمة ولا بتجويد الأسلوب،

ولا إيحاء الكلمات، فهي تطلب الاثنين: شاعرية الشاعر في أسلوبه ونظرته من علياء، وقدرة القاص التي تلتقط سردا من واقع الحياة، فتمزج بينهما، لتُخرِج شكلا جديدا، يشمل السرد بروح الشعر، والشعر بدرامية السرد، ليتم تقديم سرد يقطر بالحكمة والتأمل والطرافة.

التفكير عبر الشكل

إن المبدع يفكر ويبدع في ضوء الأشكال الأدبية المتاحة أمامه، بوصفها قنوات تعبير وبوح إبداعي، فإذا جاءه إلهام ما، فإن الذات المبدعة تفكر فيما خطر لها، وتتعايش معه، وتسعى إلى إخراجه من خلال تأملها وإدراكها للأجناس الأدبية المعروفة والمتوافرة أمامها هذا أولا، ومدى إجادتها لتلك الأجناس ثانيا، فقد تأتي فكرة جديدة، ولكن المبدع يسيء التعبير عنها في الشكل الذي يجيد الإبداع فيه، فتخرج هزيلة ضعيفة، تحسب عليه ولا تحسب له، فالقضية ليست في الفكرة الجديدة فقط، بل في الشكل الذي يحويها ويؤطرها، مع الأسلوب والتراكيب اللغوية التي يصاغ وينقل عبرها، وكيف تقدم في بنية فريدة جاذبة.

ومن هنا، يمكن القول، إن المبدع يفكر من خلال وعاءين: وعاء اللغة التي يجيدها بكل ما تحمله من تراث ثقافي وفكري وعلاماتي، ووعاء الشكل الأدبي الذي يجيده أو يتمكن من إجادته، وذاك أحد أوجه قضية الشكل والمضمون، لأن المضمون مثل السائل، الذي يتشكل حسب الأوعية التي يُصَبُّ فيها، فلا يتخيلن أحد أن المضمون واحد، وأن العبرة في التجديد في الشكل فقط، أو العكس بأن يظن أن الشكل الأدبي ثابت والعبرة في المضمون، فكلاهما وجهان لعملة واحدة، المهم هو الإتقان في اللغة والبنية والرؤية، بما يكفل إيصال الرسالة المبتغاة، بل وانفتاح النص على قراءات متعددة، تساهم فيها الأجيال اللاحقة.

أيضا، فإن التجديد في الشكل بوصفه قالبا مهم جدا، فهناك مَن يحتذي في كتاباته ما درج عليه السابقون، وهناك من يجدد في إطار الشكل، فمثلا يمكن أن تُقَدَّم القصة التي تتحدث عن قصة حب سابقة، من خلال التقاء الحبيبين في مكان ما، ومن ثم ما يتداعى في نفس كل واحد منهما عن تلك العلاقة السابقة، فيبدأ باللحظة الآنية ومن ثم يرتد إلى الماضي الجميل، أو يبدأ بالماضي نفسه، ثم يمضي إلى الحاضر، أو يقف في منطقة وسطى بينهما. أما في القصة القصيرة جدا،

فإن الفكرة القصصية تكون في قالب قصصي مكثف زمنيا ولغويا، فمثلا قد تتلاقى عينا الحبيبين بغتة، ومن ثم تتداعى المشاعر والذكريات مكانيا وزمانيا، بحيث يخرج القارئ بصورة كاملة عن الذكرى والقصة، فتصبح القصة أشبه بالكبسولة الأدبية ؛ تحمل فكرة ومشاعر وأسلوبا وبلاغة. ولنتذكر دوما مصطلح «الكبسولة الأدبية » لأنه يعبر بدقة عن القصة الشاعرة، فالمبدع يقدّم رؤيته الفنية التي تشمل مضمونا وبنية وأسلوبا في قالب قصير موجز، ذي صفاء لغوي وبلاغي، لا نجد فيه لفظة قلقة، ولا تعبيرا سمجا، ولا تركيبا زائدا، وإنما كل كلمة لها حسابها ووقعها ودلالتها، فهي نص يجعل تكثيف الرؤية والكلمة هدفا ومبتغى.

واقع التجربة الإبداعية

إذن، وفي ضوء ما تقدم، فإن القصة القصيرة جدا - وما يتقاطع معها من أشكال سردية تتوسل بالقص والكثافة اللغوية والبلاغية - شكل بديع، يحتاج إلى دراسة ودربة وتجربة إبداعية، والأهم وجود وعي جمالي جديد، أساسه امتلاك روح السرد وبلاغة الأسلوب، بكل ما يعنيه المفهوم من موهبة وتمكن ومهارات وإبداع. ونحن نؤكد على وجود هذا الوعي، لأنه أساس الكتابة في هذا الشكل، مثله مثل أي جنس أدبي آخر، وإلا تصبح القضية نوعا من الاستسهال الكتابي، الذي لا ينتج نصوصا إبداعية تضيف، وإنما تضر لأنها لا تمثّل المفهوم المفترض، وتقدم نماذج سيئة تدعي أنها قصصا شاعرية، وفي الحقيقة هي أبعد ما تكون عنها، وتلك مشكلة أي جنس أدبي يزاحم فيه الأدعياءُ الموهوبين، وقد يعلو صوتهم، ويشتد ضجيجهم، فيحجبون بنصوصهم الكثيرة نصوصا متميزة.

والغريب في التجربة الإبداعية للقصة القصيرة جدا، أنها تكاد تكون الشكل الأدبي الأكثر حضورا في الإبداع الأدبي الآن، فما أكثر الأقلام التي تتعاوره، وما أقل النماذج المبدعة المعبرة عنه! بل إن هناك أسماء كوّنت شهرة ما في المنتديات الأدبية ومواقع التواصل الاجتماعي، تتخذ من القصة الشاعرة شعارا مرفوعا، وكتابة مرقونة، وهناك من يوالي إصدار الكتب التي تحمل عشرات النصوص من هذا الشكل، بعضها فيه إبداع، وكثيره مكرر أو مقتبس أو معادة صياغته.

فهناك أشخاص ادّعوا الموهبة، وصاغوا نصوصا، منحولة من آخرين، أو أعادوا صياغة نصوص من قصص قصيرة أو قصائد شعرية، أو روايات،

وقدموها بأنفسهم، فالأمر غاية في السهولة، إنه نص في بضعة أسطر، يمكنه أن يختزل في طياته نصا مكتوباً في بضع صفحات، ولن ينتبه القرّاء، خاصة المتصفحون في عالم الفضاء الإلكتروني، الذين لا تأسيس ثقافي ومعرفي لديهم، وإنما يحتاجون نصوصا تُقرأ في لحظات، ويعاد نسخها ولصقها من جديد، أي أن السرقة بكل درجاتها موجودة في هذه النصوص: الانتحال، الاقتباس، التهجين، التلخيص، أخذ الفكرة وإعادة صياغتها، أو أخذ عبارات بعينها وتلوينها.

والسبب الأساسي في انتشاره يعود إلى صغر حجم النص، فنصوصه تتراوح ما بين مئة إلى مئتي كلمة وقد تكون أقل من مئة ؛ تصف حدثا ما، بلغة مكثفة، مع دلالات موحية، وهو ما يسهل احتذاؤه، والكتابة على منواله. ولكن يخطئ من يتوهم هذا الفهم، لأنه فن صعب، وكل ما يكتب على غراره لابد من فرزه والتمييز بين جيده ورديئه ؛ من أجل الحفاظ على نقاء النص الإبداعي، ونبذ المتطفلين.

البنية الجمالية

ينطلق المنظور النقدي للقصة القصيرة جدا من النصوص الجيدة التي بين أيدينا، ولكن تجدر الإشارة إلى أن كثيرا ممن كتبوا في نقد هذا الشكل، وقفوا كثيرا عند المفاهيم و مدى تشابهه أو اختلافه عن أشكال أخرى، وفي أحسن الأحوال تعاملوا مع مضامينه وإشاراته دون النظر إلى بنيته وتكوينه، فلم نجد تنظيرا جماليا حقيقيا يوضح المبنى جنبا إلى جنب مع المعنى، فالعبرة ليست بمدى التقائه مع غيره، وإنما بما أضافه جماليا، وبما تراكم إبداعيا، فساهم في تدعيم الشكل، وترسيخه، وهناك من نظر إلى النماذج السيئة وبنى هجومه ورفضه عليها.

إن أبرز سمات هذا الشكل - على مستوى الأسلوب - يتمثل في بلاغة العبارة، ونعني بها أن تحتوي صورا خيالية لها عناصر الجدة وروح الابتكارية، والجمل القصيرة نوعا ما، التي لا ترهق القارئ في توابعها، بجانب الرموز والعلامات، ذات الحمولة التراثية والثقافية والفكرية، فالرمز يغنينا عن مفهوم، والعلامة تشير إلى ما اصطلح عليه الناس في حياتهم أو تواصلهم، ويجب مراعاة علامات الترقيم فهي جزء لا يتجزأ من المعنى، فلا نجد كلمات تتناثر في خضم من النقاط.

أما على مستوى البنية، فيمكن القول إن « المفارقة « أولى سمات

هذا الشكل، ونعني بالمفارقة مفاجأة القارئ بما لا يتوقعه، وهذا متسق مع طبيعة اللقطة المعبَّر عنها، فلا يتوقع أحد أن القصة الشاعرة تروي ما هو مألوف في الحياة، أو متوقعة نتيجته، أو يقفز القارئ إلى النهاية وهو لا يزال في البداية، فبراعة الأديب كامنة في تقديم مفارقة مدهشة، تأخذ بتلابيب القارئ، وتجعله مترقبا للنهاية وكيفيتها. وقد تشمل المفارقة السرد والحوار معا، أو السرد فقط أو الحوار فقط.

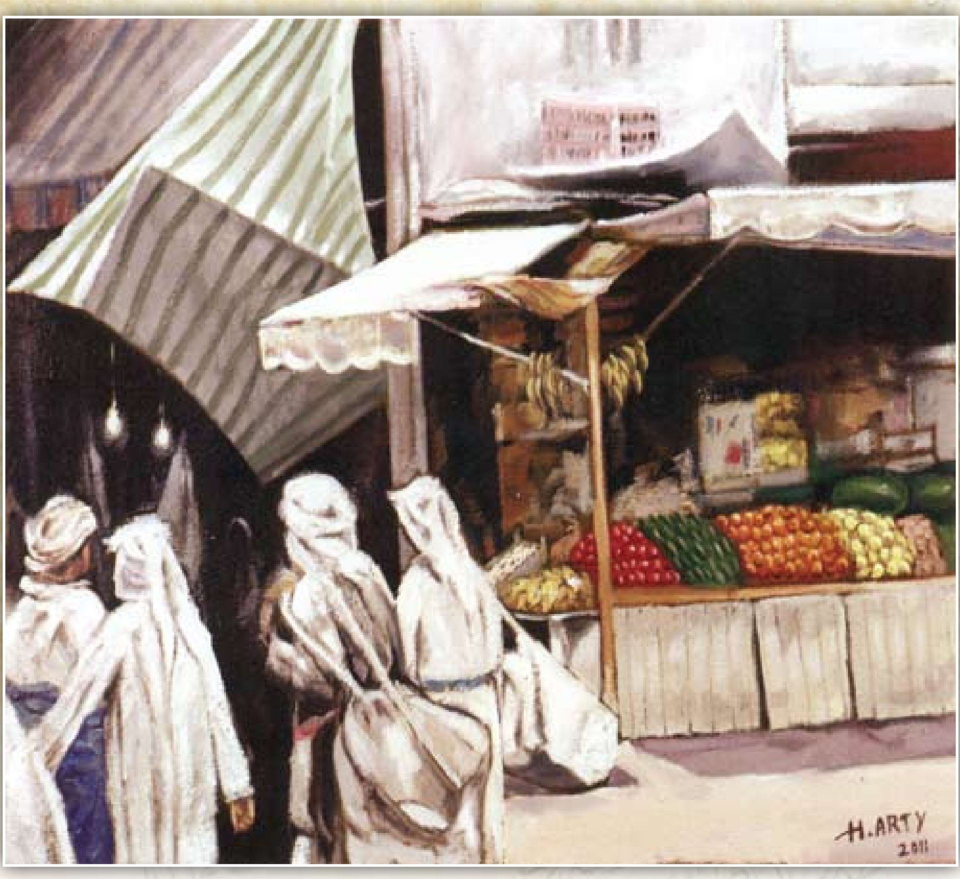
ويتفرع من المفارقةِ التشويقُ، الذي هو سمة أساسية في القص عامة، ولازم في القصة القصيرة جدا خاصة، فالقارئ لن يقف عند النص القصير، ويمعن عقله فيه إلا إذا تشوق بما في أسلوبه من كلمات وتعبيرات وحنكة في الصياغة وبراعة في الجذب، ونرى أن براعة الأديب تتأتى في قدرته على تقديم نصوص مشوقة.

وما أجمل أن نجد في القصة الشاعرة جملا تقفز بنا فوق الأحداث، وتطير بنا بين الحلم والواقع ! فتسمو برؤيتنا من تفاصيل الواقع التي نجدها في السرد القصصي والروائي إلى ما فوق الواقع من رؤية شفافة. وتلك هي أبرز سمة القص الشاعري، لأنه يتخلص من ربقة المتناثرات والتفصيلات، ليأخذ القارئ إلى عالم من الحكمة المتولدة، والرؤية المتفلسفة، التي تدفع القارئ إلى التفكير في الرسالة والماهية، وفي استكناه ما حوته التعبيرات والرموز من معان، وما ستناله ذاته من توهج في التلقي، يجعله يدير عقله مرات ومرات، مسترجعا القصة، ساعيا إلى اكتشاف المزيد مما حواه النص واختزنته شفرته، وهنا تكون براعة الأديب، الذي يجعل في نصه معاني دانية القطوف، وأخرى صعبة في الالتقاط، فإذا قطفها القارئ شعر بلذة أي لذة، وربط بين المعنى القريب في ظاهر النص، بالآخر البعيد في باطنه، ودوما ما هو خفي أعظم منا جليّ.

*****

إن القصة القصيرة جدا تحتاج إلى المزيد من المبدعين الموهوبين، فلا تزال تربتها خصبة، تحتاج إلى بذر وغرس، وتعهد ورعاية، فلا نتعجل الحصاد. كما يجب على الأديب المتصدي لها أن يزيد من قراءاته، ويمعن في ابتكاره وإبداعه، ويتفنن في أسلوبه، فالعبرة ليست بكثرة النصوص، وإنما بروعتها ودهشتها وفلسفتها، ولنتذكر دائما أن الأدب أساسه مضمون راق، وأسلوب بليغ، وألفاظ موحية، وإضافة إلى القارئ.

مسرح



اللوحة بريشة الفنان حسين آرتي

أشياء غريبة

مسرحية من فصل واحد

تأليف : درويش الأسيوطي *

الشخصيات :

الرجل

المرأة

الشرطي١

الشرطي٢

الشرطي٣

جميع الشخصيات بلا سمات محددة فهي شخصيات من أي سن ، يمكن أن تقابلها في الشارع في أي وقت.

المنظر :

حديقة عامةٍ ،مقعد رخامي مستطيل ، خلفه تعريشة لنباتات متسلقة تشكل دغلا صغيراً، رجل يجلس على الطرف الأيمن من المقعد ، وفي أقصى الطرف الأيسر تجلس امرأة. الوقت عقب شروق الشمس بوقت قصير ، تسود المكان ضبابية الشتاء في مثل هذا الوقت من الصبح الرجل ينظر جهة المرأة والمرأة تنظر جهة اليسار.تبدو ملامح وجهيهما أشبه بصور بلا ملامح.

يقف الرجل فجأة ، تلتفت المرأة ناحيته بعصبية ، يخرج الرجل ما في جيوبه من أوراق ومناديل وحافظة ويضع كل هذا على المقعد ثم بعد لحظة تفقد يعيدها إلى جيوبه، يدور حوله يتفقد الأرض بحثا عن شيء ما، في نفس الوقت تبدأ المرأة في إفراغ حقيبتها بحرص على المقعد ثم بعد لحظة تفقّد تقوم بإعادة الأشياء إلى حقيبتها ، تترك الحقيبة على المقعد ثم تقوم بتفقد الأرض حولها بحثا عن شيء ما . أثناء البحث كل في جانبه يستديران ليصبحا في المواجهة أسفل منتصف المقعد الرخامي.

الرجل : (كمن تذكر شيئا) هل...؟

---

* كاتب مصري.

المرأة : (مفكرة للحظة) لا..

(يعودان للبحث كل منهما في الجانب الآخر ثم يعودان ليلتقيا مرة أخرى في أسفل منتصف المقعد)

ألم ؟

الرجل : (يهز أكتافه عائدا إلى مكانه في صمت)

المرأة : كيف أضعتها ؟!!

الرجل : كيف أضعتها ؟!!

المرأة : أظنها في مكان ما هنا..

الرجل : لدي نفس الإحساس.

المرأة : أنت دائما هكذا..!! لولا عصبيتك..وتسرعك.. لكنا في الفندق بدلا من الجلوس هكذا على قارعة الطريق كالصبية المراهقين..

الرجل : ماذا توقعت ؟ أأترك ذلك الخنزير يغازلك وأتفرج ؟!!

المرأة : أنا لست امرأتك.. ثم ماذا فعل الرجل ؟ أبدى وجهة نظر في..

الرجل : في ساقيك..

المرأة : مجردة..

الرجل : كان ينبغي أن أقتله..

المرأة : غيور..

الرجل : فهمت الآن سبب جرأته عليك..

المرأة : أية جرأة ؟

الرجل: كنت تشجعينه بابتسامتك.. !!

المرأة: أي امرأة تلك التي تستمع إلى إطراء جمالها من رجل ولا تبتسم ؟!!

الرجل: إذن.. كان يعجبك ؟ هه؟

المرأة : كلامه.. نعم..

الرجل : ارجعي إليه.. ماالذي يمنعك.. ارجعي إليه ما دامت كلماته تملك عليك حسك.

المرأة: الحقيقة.. يبدو رجلاً خبيراً..

الرجل : تعترفين إذن..

المرأة : أنا لم أنكر.. ثم بأي حق تثور هكذا.. تذكر حجم علاقتنا..

الرجل : (باحثا عن حجة)

كان عليك أن تقدري موقفي.. لقد نزلنا في الفندق كزوجين..

المرأة: أصحاب الفندق لا يصدقون كل ما في دفاترهم.. !! أتراه يصدق أن رجلا وامرأة في مثل سننا هذه بلا أطفال.. ؟ هو يعرف أننا لسنا زوجين..

الرجل: لماذا تركت الفندق معي إذن..

المرأة : لأثبت له أنه على خطأ.. برغم أننا لسنا زوجين..

الرجل: لماذا جئت إلى هنا.. اتفقنا أن يمضي كل منا في اتجاه عكس اتجاه الآخر

المرأة : حينما نظرت في وجهه.. لحظتها رأيت كل التفاصيل

الرجل : هل رأيت وجهه ؟

المرأة : (تضحك) أصبح خنزيراً من صفعة واحدة..

الرجل : الصفعة أسقطت القناع.

المرأة : تصور.. اكتشفت أشياء غريبة.

الرجل : أحقا؟

المرأة: كل أصحاب الفنادق بلا ملامح

محددة..!!

الرجل : ربماهناك سمات مشتركة بينهم تجعلهم يتشابهون..

المرأة : (محدقة بوجهه) أنت أيضا بلا ملامح..

الرجل : تصورت أن الضباب.. وكبر السن.. (مقتربا منها) يا الله..

المرأة : أتعني ؟!!

الرجل : كيف تبصرين بلا عيون..

المرأة : شيء غريب.. أنت أيضاً.

الرجل : ربما كبرنا..

المرأة : كيف فقدنا ملامحنا..

الرجل : مستحيل.. كنت أنظر في المرآة قبل أن أغادر الفندق..

المرأة : وتبصر نفس الصورة غير الواضحة؟

الرجل : نعم..نعم للأسف..

المرأة : مشكلة.. بهذه الملامح لم تعد أوراقنا صالحة لإثبات شيء..

الرجل : نحن في حاجة إلى سجلات جديدة.

المرأة : وأسر جديدة..

الرجل: كيف نتعارف بلا عيون..

المرأة : لابد من وسيلة..

الرجل : وسائل الطبيعة كثيرة.. الصوت.. الرائحة..

المرأة : اللمس..

الرجل : كان ينبغي أن ننهي لقاءنا هنا.. قد يلجأ صاحب الفندق إلى الشرطة..

المرأة : لا أظن.. من ينظر إلى ساقي امرأة.. لا يطلب رفيقها أمام الشرطة..!! لم يكن من الحكمة النزول بالفندق.

الرجل : خشيت أن يسيء الناس الظن بنا.

المرأة : أعرف..

الرجل : كنت أخشى أن يمر أحد الأولاد.. فأناأسكن قريبا من هنا..

المرأة : لم تقل لي أن لك أولاد

الرجل : لم تكن هناك فرصة..

المرأة : جميلة.. زوجك ؟

الرجل : كانت..

المرأة : (لنفسها) لعله يقولها بنفس الطريقة..

الرجل : من ؟

المرأة : زوجي..

الرجل : أردت أن أشرح لك فقط لماذا تزوجت غيرك..

المرأة: لقد مرت فترة طويلة.. هل الرسائل ما زالت لديك ؟

الرجل : أحفظها.. وأنت..

المرأة : تخلصت منها قبل زواجي الأول..

الرجل : (يبحث في جيوبه ويفتش حوله)

كنت أحسبها هنا..

المرأة : ما أجملها!

الرجل: فعلا.. لابد أنها بمكان ما..

المرأة: علينا أن نواصل البحث..

الرجل : علينا أن نواصل البحث..

(يعود كل منهما إلى البحث في جانبه

للحظات مع انخفاض درجة الإضاءة تدريجيا)

المـرأة : كنـت أحـسـب أن الفجر قريب..

الرجل : غابت الشمس لتوها.. ما الذي جاء بك؟

المرأة : جئت لأتأكد.. وأنت لماذا جئت ؟

الرجل : حسبتك نفس المرأة..

المـرأة : حسبتك نفس الرجـل.. هل أنت ؟!!

الرجل : أنا لا أعرف.. يظن الإنسان بعد عمر طويل أنه صار يعرف كل شيء.. عن

نفسه على الأقل.. ولكن لحظة ما.. تكشف له أنه لا يعرف حتى ذلك الكائن

الذي يسكن جلده.. أحسب أن حبك أثمن ما في حياتي.. وأنك أجمل كل كنوز

الأرض

المرأة : أنت تحبها امرأتك..؟

الرجل : امـرأة اعتـدت الحيـاة إلى جوارها.. قطة أليفة تسكن تحت كفي صيفا.. وإلى

صدري شتاء.. عندما يعطيك الإنسان من دمه الأبناء.. لابد أن يأخذ من وقتك

وعقلك.. وربما قلبك أيضا ..!!

المرأة : يشبهونك.. أم يشبهونها؟

الرجل: من ؟

المرأة: الأولاد

الرجل : الولد الأكبر لو قابلك صدفة.. ربما ناديت عليه باسمي..

المـرأة : أذكـر ذلـك الشـاب.. بشاربه المحدد كأنما رسم بالفحم على الوجه الوردي..

الرجل : بشعره الغزير الفاحم.

المرأة : بعينيه...أين ذهب كل هذا ؟

الرجل: ربما .. توزع في الأبناء..!!

المرأة : تحبهم؟

الرجل: لا أعرف كلمة فقدت معناها على الألسنة مثلها.. ماذا تقصدين بالضبط؟

المرأة : الحـب.. أعنـي الحب.. علاقتك بهم..

الرجل: العـلاقـة بـالأبـنـاء لا تتسع لها كلمة واحـدة.. شـيء معقد.. أنت تعرفين غضبي

أغضب وأرفـع يـدي.. وأتـأمـل موقع الصفع على وجهه.. أحس بالخجل.. أتمنى

قوة أخرى بحجم غضبي تمنع يدي.. لعلك جربت ذلك..

المرأة : لم يكن لي أولاد!

الرجل : لماذا ؟

المرأة : (بحرج) لم يكن..

الرجل : هل هذا سبب طلاقك؟

المرأة : لا.. أنا طلبت الطلاق..

الرجل : كان على علاقة بامرأة أخرى ؟

المـرأة : لـم يكن على عـلاقـة.. حتى بي..

الرجل : كنت تحبينه؟

المرأة : (تنظر إلى الأرض) لم أكن أكرهه.

(يبدأ شيء في التوهج تحت أقدامها تنحني وتلتقطه في عناية، تبدو كقطعة من الزجاج تضيء ، في نفس الوقت ينحني الرجل ويلتقط قطعة أخرى تضيء تبدو ملامحها واضحة ، يقتربان في صمت يقرب كل منهما القطعة المتوهجة من وجه الآخر)

الرجل : ما زلت جميلة..

المرأة : مازال شاربك مرسوم بعناية

الرجل : هل أشرقت الشمس ؟

المرأة : لا.. لقد وجدناها.. ملامحنا!!

الرجل : نعم.. وجدناها.. وجدناها..

(تبدأ رقصة تعبيرية بين الرجل والمرأة تمثل الخصوبة والفرح يستمر الرقص للحظات ، يخرج من التعريشة شرطي مصفقا بسخرية ، تعود الإضاءة الطبيعية التي بدأ بها المشهد ويهرب كل من الرجل والمرأة إلى جانب)

شرطي١: عظيم عظيم.. بديع.. الحكاية الأزلية.. رجل وامرأة.. وثالثهما..

المرأة : أنا في عرضك.. لا تجمع علينا الناس.. أنا امرأة متزوجة.

الرجل : وأنا صاحب أسرة.

شرطي١: تحبينه ؟ كل الأفلام العربية هكذا..

المرأة : كنت

شرطي ١: وزوجك؟

المرأة : طبعا طبعا

شرطي١ : وأنت

الرجل : أنا..

(يحاول التهرب يبرز من جانب التعريشة شرطيان آخران)

شرطي١ : لماذا تهرب..

الرجل : العادة

شرطي١ : بل الخوف.. رائحته في أنفاسك

الرجل : لا أنكر أني خائف

شرطي١ : المذنبون فقط يخافون.. (للشرطيين) فتشاه..

هل تخفي ما تخاف أن نكتشفه؟

الرجل :لا..لا.. إطلاقاً.

شرطي١ : هل تستطيع اثبات ذلك ؟

الرجل : بالتأكيد.. فتشاني..

شرطي١ :لم نجبرك على شيء.. أنت طلبت التفتيش.

الرجل : نعم.. تفضلا..

شرطي٢ :(يخرج من أحد جيوبه ورقة ويلقي بها وراء ظهره)

قصيدة شعر..

شرطي١ : رجل طيب.. ما قيمة الشعر في هذا الزمن ميت القلب..؟

الرجل : كانت تحب الشعر..

شرطي١ :دواوين الكذب الملون.. تخدع النساء..

المرأة: لم تقل لي أنك كتبت قصيدة جديدة!

الرجل: كنت أدخرها لوقت مناسب.

شرطي٣ : مفاتيح..

شرطي١ : ما لون السيارة (يشير إلى شرطي٣ فيلقي إليه بالمفاتيح)

الرجل : حمراء.. حديثة..

شرطي٢ :حافظة نقود وأوراق قيادة.. وبطاقة هوية..

شرطي ١: أفرغ ما فيها وردها إليه..

الرجل : لكن

شرطي١: أنصحك بعدم مخالفة نصائح الأمن.. نحن نحاول أن نثبت أنك صادق..

شرطي٣ : ساعدنا بالصمت.

شرطي٢ : وبالإذعان..

الرجل : لعلكم تأكدتم أني لا أخفي شيئاً..

شرطي٣ : منديل بلله العطر..

الرجل : لا أحسب القانون...

شرطي١ : (مقاطعا) القانون ؟ نصنعه أنا وأنت.. رضيت.. وقبلت.. هذا قانون اللحظة

الرجل : أنت تخدعني.. كنت أحاول أن أثبت صدقي.

شرطي١ : وأنا كنت أقوم بواجبي.

الرجل : أنت تحاول سلبي ما أملك.

شرطي١ : ماذا تخفي بيدك ؟

الرجل : يضع يده خلف ظهره

لاشيء.. لا شأن لك..

شرطي١ : هل تخجل؟

الرجل : لا أخجل.. هو شيء خاص.

شرطي ٢ : لا شيء يخصك دون الشرطة

شرطي١: افتح يدك وابسطها كل البسط..

الرجل : لن تفهم.. كنا نبحث عنها طول الوقت.. كي يتبين كل منا شكله.. ملامحه..

قسماته.. كيف أسلمها وأعود بلا شيء.. أعني وأعود لاشيء..

المرأة : لؤلؤتي..

شرطي١ : ماذا

المرأة : جوهرتي

شرطي١: افتح كفك

الرجل : لو فقدت جوهرتي.. تلاشيت..

شرطي١ : (يمسك بيده ويلويها ويأخذ القطعة) (يتأملها لحظة ثم ينفجر ضاحكا)

ما أغباكما.. قطعة زجاج بارد.

الرجل : جوهرتي

شرطي١ : زجاج معتم

الرجل : كانت تضيء

شرطي٢ : خداع بصر

المرأة : أنا رأيتها.. كانت تضيء كجوهرتي.

شرطي١ : كذب

الرجل : أعدها لي.. إنها الحقيقة الوحيدة

شرطي١ : (يلقي بالقطعة على الأرض ويدوسها ونسمع صوت تهشم الزجاج)

أغبياء.. فتشاها

المرأة : لا داعي للعنف.. ها هي حقيبتي.. أتريدون تفتيش الملابس

أيضاً.

شرطي١ : لا شيء يستحق المغامرة.

الرجل: معذرة ياسيدي.. نسيت أن أسألك..

شرطي١ : تسألني؟ عن ماذا؟

الرجل : بطاقتك من فضلك.

شرطي١ : أي بطاقة تريد.. وبأي مهنة تحب ؟

(مع كل مهنة يخرج كل شرطي بطاقة)

شرطي٢ : تاجر

شرطي٣: كيال

شرطي١: مدرس

شرطي٣: زبال

شرطي٢ : مهندس

شرطي٣ : طبيب

شرطي١ : صحافي

شرطي٢ : مذيع

شرطي ٣ : شاعر أيضا إن شئت.

شرطي١ : انتباه.. تحرز كافة المضبوطات.. نفذ..

(يجمع الشرطيان ما أخرجا من الرجل والمرأة، يخرج الشرطي١ ورقة يوقع عليها ويقدمهاإلى الرجل)

هذا حقي.. وهذاحقك.. بالقانون..

ولكي تتأكدا.. اتركوا لهم كل البطاقات.. في خدمة سيدي.. في خدمة سيدتي

(يخرجون)

الرجل : ما هذا؟ كل البطاقات صحيحة.. وتحمل اسما واحدا

المرأة : مسكين هذا الرجل.. كيف يقوم بكل هذه الأعمال ؟

الرجل : ليس من بين البطاقات بطاقة شرطي.

المرأة : وهل يحتاج الشرطي إلى إثبات؟

يحتاج إلى قيد حديدي وسلاح..

الرجل : لا يحتاج اللص إلى إثبات أيضاً..

يحتاج إلى قيد وسلاح

المرأة : وما الفرق؟

الرجل : أين ألقى بها؟

المرأة : أظنها في مكان ما هنا.

الرجل : لدي نفس الإحساس.

المرأة : كل رجال الشرطة بلا ملامح.

الرجل : ربماهناك سمات مشتركة تجعلك تظنين.

المرأة : أنت أيضا بلا ملامح

الرجل : يا الله.. كيف تبصرين بلا عيون

المرأة : شيء غريب

الرجل : شيء غريب

المرأة : عليناأن نواصل البحث

الرجل : عليناأن نواصل البحث

(يدوران بالمكان مع التلاشي التدريجي للإضاءة)

إظلام

قصة



اللوحة بريشة الفنان محمد الشيخ الفارسي

خالتي موضي

بقلم: بدر أبو رقبة العتيبي *

لا أحد يعرف سر غضب خالتي موضي الدائم وعصبيتها الزائدة تجاه أبسط الأمور وأتفه الأشياء بكل شاردة وواردة، حتى والدتي شقيقتها الوحيدة والمترملة حديثاً لا تملك إجابة شافية لذلك السؤال اللحوح الذي يكرره الجميع على مسامعها بفضول كبير خاصة حينما تفشل خالتي المسكينة بكظم غيظها الدفين أمامهم فجأة؟!

فقط تتبرم أمي وترد كأنها تخاطب نفسها متمتمة بكلمات لا نفهمها ..

والله إنها عوينة جوزة بنت ضيدان ما تعدتها، حسبي الله عليها!

لا نعرف جوزة بنت ضِيدانٍ ولا عوينتها التي يبدو أنها حارة جداً بنظر والدتي المتعاطفة بسخاء دوماً مع أختها الأصغر منها سناً نظير موافقتها على الإقامة معنا، فأمي ما زالت في بداية فترة العدة، وفي كل مرة تهددنا الوالدة ومذكرة بعبارتها الخالدة التي لا تكاد تفارق خيالنا كشبح مقيت أصبح يلازمنا أينما حللنا في كل مكان وكأنه يطاردنا من شدة الخوفً ..

يا ويلكم إن قلتوا شَي يزَعلها؟!

ربما تكون خالتي مسكونة بروح شريرة استفردت بها ذات مساء حالك لدأبها على عشق الوحدة، والاختلاء بنَفسها، مفضلة ممارسة هوايتها ألتي لم تتركها منذ فترة صباها المبكرة، والمتمثلة بإدمان قراءة المجلات اللبنانية المصورة كريما وسمر وغيرها من مجلات أخرى والمقتبِسة من أفلام رومانسية إيطالية قديمة كانت مكتوبة بطريقة عاطفية، سريعاً ما تجذب قلوب الفتيات الخليجيات المحافظات والباحثات عن الحب خارج حدود أسوار بيوت ذويهن المنيعة.

كلما طرقت باب غرفة خالتي موضي المتوسطة العمر والتي تبدو كشابة لا تكبر لحسنها الفتانِ الذي لا يذبل؛ حيث تحسده عليها الكثيرات من بنات حواء هنا .. مستأذناً الدخول عليها لغرض ما وبناءً على طلب عابر من والدتي فقط، تجيبني بعبارات أجنبية عذِبة ومنمقّة مصحوبة بلهجة ًهادئة غير مألوفة للآخرين ممن لا يعرفونها جيداً، وتدل دون شك على حجم تأثير الوقت الذي تستنزفه خالتي بالمطالعة كنموذج مشرف للبنت البدوية المثقفة التي لم تستكمل

* قاص وصحفي كويتي.

تعليمها الجامعي، والذي حرمت نفسها منه مضطرة بحكم الجدل المحتدم بمشروعية الاختلاط آنذاك؛ حيث لم تكن في بلادنا غير جامعة حكومية واحدة كانت وما زالت تحمل اسمها ..

- Come in Danny ..!؟

ادخل داني ..!؟

لا أعرف لماذا تصر خالتي على تسميتي بداني بدلاً من اسمي الحقيقي فهد بكل مناسبة وغير مناسبة، رغم أن الصور المعلقة لرجال على حوائطِ حجرتها بأناقة لافتة داخل براويز خشبية مذهبة غالية الثمن كانت جلها تقريباً تحمل أسماء فرانكو .. كفرانكو كاسباري، وفرانكو دامياني و .. و .. والتي تحصلت عليها خالتي كهدايا سنوية من سلسلة مجلاتها المصورة .. المكومة فوق بعضها بعناية فائقة حيث تحتفظ بأعداد كبيرة منها في غرفتها اللامعة بفرط نظافتها الساطعة باستمرار، وإذ تحرص على ترتيبها بمفردها مستخدمة عطوراً عبيرية بهية يحرضك أريج روائحها الجميلة على التجرؤ بجسارة عالية لتكرار مشروع زيارتها المحببة مرة تلو الأخرى.

ولخالتي موضي شخصية قوية كانت مثار إعجاب الكثيرين أينما حلت، مختزلة في مواقف طيبة تنم عن شجاعة بالغة يثمنها لها الرجال قبل النساء ممن يتهافتون لخطبتها طلباً بالزواج بعد كل موقف بطولي تسجله لصالحها ولكن عنادها الجامح بالرفض كان يحول دون تحقيقّ مآلهم بفكرة الظفر والارتباط بها منذ طلاقها من الشيخ سلطان الأطرق والذي لا تذكره بسوءٍ بيننا يوماً قط .. بل كانت تمطره بوابل من المديح بالخفاء فهي التي طلبت حبلها بالمعروف على ذمة والدتي بالنهايةً، وأنهت عمر زيجتها القصيرة العابرة والتي لم تستمر سوى شهرين بالتمام والكمال مثلما تقول والدتي لنا، ولا أحد يعرف أسباب ذلك بالطبع غير أمي وحدها.

ففي ليلة صيف يوم قائظ، وقعت عينا أخي الأكبر تركي على إحدى المجلاتِ اللبنانية المصورة بقرب فراش أختي منيرة بكر والديّ فاستشاط غضباً صاباً جام نيران غيرته الملتهبة على شعرها الأسوَد الطويل الأعزل الذي أخذ يلفه بجنون مستعير .. ممسكاً بعقاله السميك ومتوعداً إياها بالضرب المبرح إن لم تقلْ من أين جلبت تلك المجلة الماجنة بسفور في نظره، والحافلة صفحاتها الملونة بصور رجال عراة الصدر ونساء يرتدين المايوه البكيني تجمعهم قبلات ساخنة وضمات دافئة وعناقات حارة واحتضانات لاهبة و.. و .. وسط انين صرخاتها المتعالية ببكاءٍ مرير والمستنجدة والمستغيثة بالجميع في حوش منزلنا الفسيح.

وبلمحةٍ بصر، تخرج خالتي موضي من خلوتها كالأسد الهائج وتترك باب غرفتها مشرعاً بوجه الريح مسرعة نحو أخي تركي قابضة بكفها الأملس على سطح يده الخشن بقوة .. صادحة بكلماتها المنفجرة كالبركان وبصوتٍ يكاد يسمعه من

شدته الجيران الذين كانوا يشمتون بنا بصمت حفيف لا محالة ..

وَخّر .. وَخّر، أقولك هد إيدك وابلع العافية، وكف شرك عنا، وبعدين أنا اللي عطَيتها المَجلة وش عندك، وورنا مَراجلك هالمرّة، وخلنا نشوف يا ولد ...؟!

عبثاً حاول أخي تركي تَصنع الصمود أمام زئير شراستها كلبوة تذود عن شبلتها ولو للحظات زهيدة .. فما لبثَ أن ترك شعر أختي منيرة مضطراً لقوة صلابة إرادة خالتيَ الفولاذية الجارفَة وتركنا جميعاً ذاهباً بسكوته المخزي الذي لمسناه أول مرة في حياتنا إلى الديوانية بمفرده مخلفاً وراءه طاقيته وشماغه وعقاله، ومذعنا لإملاءات خالتي موضي المتلاحقة باستسلام فاضح ينم عن ضعف ظاهر نستشعره بجلاء أبيض؛ حيث لم نكن نتوقع منه مثّل هذه الروح الانهزاميةً التي تكشفت سريعاً أمامنا بصراحة يوماً ما، فهو المشهود له بعكس ذلك تماماً وبشهادة أترابه من الأعداء قبل الأصدقاء في مجالسهم دائماً.

لحظة انكسار أخي تركي كانت مؤثرة وكدنا نبكي لها بدمع مالح كأولاد وأشقاء صغار متجمعين حوله بالديوانية مواسين، ومهدئين من روعه، وقد سألته ببراءة حينها مباشرة ..

لماذا تركت يدك بمثل هذه السهولة ولبيت لخالتي موضي طلبتاها بهذه السرعة ونفذت أوامرها خاضعاً لرغباتها المجحفة بحقك؟!

أجاب مستغرباً وباندهاش تعلوه صدمة .. بل صدمات .. وصدمات ..

أنت ما شفت كفها يا ولد، تقول كف رجال والله؟!

أما لحظات انتصار خالتي موضي فهي كثيرة ، وكثيرة طبعاً .. وآخرها قول أمي لأخي تركي الذي قبل رأسها معتذراً عن الحادثة ومسامحاً خالتي على موقفها الأخير ..

أبك خلها عنك، يقولون معها سِبَب؟!

سوزان

بقلم: عبد الرحمن بورحمة *

لم تدر سوزان سر تعلقها السريع بطبيب الأطفال الشاب أحمد عبد الرزاق، ورغم مرور شهر واحد فقط على التحاقه بالمستشفى التي تعمل فيها، إلا أنها رأت فيه فارس أحلامها الذي انتظرته طويلا.

ورغم ملاحظتها ضعفه بالتشخيص وتردده في تقرير العلاج إلا أنها عزت ذلك إلى حداثة تخرجه وقلة خبرته، وقامت تساعده في عمله، بل أخذت توجهه إلى ما يجب القيام به بحكم خبرتها في نفس المجال لمدة خمس سنوات.

مرت الشهور الأولى لعمل الطبيب الجديد بسلام فقد كان يحول الحالات الحرجة إلى زملائه ويتعامل هو مع الحالات البسيطة والمتكررة بالأقراص المهدئة والعلاجات النمطية المعروفة وفي نفس الوقت توطدت علاقته بالممرضة سوزان وراحت تحكي له كل شيء عن حياتها وعن والدتها العجوز المريضة بالقلب والتي تسكن بعيداً عن العاصمة حيث تسكن سوزان مع زميلة لها.

بعد عدة شهور التحق بالمستشفى صيدلي شاب اسمه سعيد مروان ومنذ البداية حاول الدكتور أحمد عدم الالتقاء به أو التعامل معه، ولكن هيهات، فقد كانا يتقابلان صدفة في مرافق المستشفى وفي الاجتماعات الدورية والعامة، وفي كل مرة كان الصيدلي يسأل نفس السؤال: هل أنت متأكد أننا لم نلتق من قبل يا دكتور أحمد؟ وكان جواب الدكتور نفسه في كل مرة لا يتغير: نعم يا دكتور لم يسبق لي هذا الشرف من قبل.

بعد شهرين واجه الصيدلي الطبيب في مكتبه بصورة صريحة ومباشرة هذه المرة: أنت لست الشخص الذي تدعيه، نعم تذكرت الآن أنت الطالب الفاشل عامر عبد الحميد، لقد فصلتك الجامعة بعد تكرار رسوبك وانخفاض معدلك وتهجمك على عميد الكلية وتهديده بالأذى، أنت طبيب مزيف قدم استقالتك بهدوء قبل أن أبلغ إدارة المستشفى عن ماضيك الأسود وغشك وخداعك المستمر إلى اليوم.

---

* كاتب كويتي.

عبثاً حاول الطبيب المحتال نفي التهمة عن نفسه، فقد كان الصيدلي سعيد يتكلم بثقة زائدة، أخيراً حاول المحتال أن يشتري سكوت الرجل الشريف ولكنه فشل في ذلك أيضاً، وكانت آخر كلمات الصيدلي وهو يغادر المكتب: أمامك (٤٨) ساعة للاستقالة والمهلة ليست سواد عينيك ولكن للمحافظة على سمعة المستشفى.

في اليوم التالي حاول الصيدلي أن يضغط على الطبيب المزيف وذلك عن طريق إبلاغ صديقته المفضلة بكذبه وزيف شخصيته وإدعائه الطب، وطلب منها إقناعه بالاستقالة، ووعدها بأنه لن يتكلم إذا استقال الطبيب المزيف، وعند مواجهة سوزان الطبيب المحتال باتهامات الصيدلي سعيد، أقنعها بأنه يغار منه ويحسده على حبها له بعد أن عرف بأنه سيقترن بها بعد شهور، بعد أن يرتب بعض الأمور المتصلة بثروة العائلة، فلم يسع سوزان إلا التسليم بما سمعت، فالحب يعمي ويصم.

عند دخول سوزان المستشفى في اليوم التالي رأت سحابة من الحزن والكآبة على وجوه كافة العاملين فأسرعت تسأل زميلتها عبير عن السبب فأخبرتها بأنهم وجدوا جثة الصيدلي سعيد مهشمة في سيارته نتيجة حادث مروع، ويفيد التقرير الأولي للشرطة بأن الحادث كان مدبراً.

لأيام طويلة دار صراع مرير بين قلب سوزان وعقلها: هل قتل الدكتور أحمد الصيدلي سعيد بسبب حبه لها ومنافسة الصيدلي له على قلبها؟

حاولت مراراً أن تبوح بما في نفسها للشرطة ولكنها في كل مرة كانت تقنع نفسها بأنه وساوس شريرة لا دليل عليها، وبأن الدكتور أحمد طبيب ولكن سعيد هو الذي استفزه وقبل هذا وذاك الدكتور أحمد هو زوج المستقبل هو ابن عائلة معروفة وذات ثروة طائلة ثم إن إبلاغ الشرطة لن يعيد الحياة للصيدلي سعيد؛ ولكنها سوف تفقد الرجل الذي أحبته.

مرت ثلاثة شهور ثقيلة على موت الصيدلي ونسي الناس أو تناسوا الحادث المروع قبل أن تستلم سوزان ذات صباح البرقية التالية من شقيقها فارس: لقد توفيت والدتنا مساء الأمس وتم الدفن صباح اليوم، أحضري حالاً.

ركبت سوزان قطار الليل في طريقها إلى مسقط رأسها حيث بيت العائلة والأهل والأقارب والعزاء، وفي اليوم الثالث لوصولها طلبت سوزان من أخيها أن يأخذها إلى المقبرة لقراءة الفاتحة على روح المرحومة، في الطريق إلى الخروج بعد الفاتحة وعند الباب الخارجي لفت نظر سوزان شاهد غريب الشكل على أحد القبور، اقتربت من الشاهد وقرأت الكلمات التالية:

المرحوم الدكتور أحمد عبد الرزاق- طبيب أطفال!!.

رابطة الأدباء الكويتيين هنأت د. خليفة الوقيان و عبد العزيز سعود البابطين وفاضل خلف

فاز الأديب والشاعر الكويتي الدكتور خليفة الوقيان، بجائزة "القدس" الأدبية التي يمنحها الاتحاد العام للأدباء العرب، وهي من أرفع الجوائز التي يمنحها الاتحاد سنويا.

وأعرب أمين عام رابطة الأدباء الكويتيين، طلال الرميضي، في تصريح لـ «كونا» عقب الإعلان عن الفائز بالجائزة على هامش مؤتمر الاتحاد العام للأدباء العرب المقام في دبي عن اعتزازه بفوز الدكتور الوقيان بهذه الجائزة الكبرى.

وقال الرميضي إن الأديب الوقيان له مكانه ثقافية كبيرة في الإنتاج الإبداعي العربي، وكتب الكثير من الدراسات حول قضية القدس الشريف، ومنها كتابه «فلسطين في الشعر الكويتي»، الذي تم طباعته أخيرا ضمن مطبوعات الكويت عاصمة للثقافة الإسلامية لعام ٢٠١٦، وكتاب («القضية العربية في الشعر»، ودواوينه «المبحرون مع الرياح»، و«تحولات الأزمنة»، و«الخروج من الدائرة».

ولفت الرميضي إلى أن تكريم الوقيان هو تكريم للحركة الأدبية الكويتية التي خدمت الثقافة العربية، «وهو دافع كبير لمواصلة العطاء والإبداع فيما يقدمه الأدباء في الكويت لخدمة أمتهم العربية».

وأشار إلى أن فوز الأديب الوقيان جاء بقرار من اللجنة التي شكلها المكتب برئاسة الأمين العام وعضوية ممثلي اتحادات الإمارات والمغرب والجزائر واليمن بعد استعراض السير الذاتية للمرشحين.

وأوضح الرميضي أنه سوف يتم تسليم درع الجائزة في افتتاح المؤتمر القادم



د.خليفة الوقيان



عبدالعزيز سعود البابطين

للاتحاد العام للأدباء العرب الذي سينعقد في الجزائر فبراير المقبل.

ووجه الشكر لأمين عام اتحاد الأدباء والكتاب العرب الشاعر الإماراتي الكبير حبيب الصايغ على جهوده المميزة في قيادة هذا التجمع الثقافي العربي وعلى حسن الترتيب وكرم الضيافة في دبي.

ولفت الرميضي إلى اهتمام الاديب الدكتور خليفة الوقيان بالقضية الفلسطينية، حيث أنتج الكثير من الأعمال الأدبية التي دافعت عن قضية القدس الشريف.

وأضاف أن الدكتور الوقيان قام بمجهود كبير في حفظ الأدب الكويتي من خلال قيامه برصد ما كتبه شعراء الكويت الأوائل من قصائد قديمة كخالد الفرج وعبدالعزيز الرشيد ومحمود شوقي الأيوبي وأحمد السقاف وعبدالله زكريا الأنصاري.

وبين الرميضي ان الوقيان تنوع إنتاجه الادبي بين الشعر والدراسات الادبية، ولاسيما تلك التي تهتم بإبراز الحق الفلسطيني ونضال الأمة العربية من أجل تحرير فلسطين.

يذكر أن الأديب والشاعر خليفة الوقيان ولد عام ١٩٤١ وحصل على شهادة الدكتوراه في اللغة العربية مع مرتبة الشرف من جامعة عين شمس المصرية عام ١٩٨٠، وتقلد العديد من المناصب الثقافية والأدبية، وله



فاضل خلف

أكثر من ١٠ مؤلفات تتناول جوانب عدة من الأدب والشعر العربي والكويتي.

وكان الأديب والشاعر الكويتي الآخر أحمد السقاف قد فاز بنفس الجائزة القيمة عام ٢٠١٠.

إطلاق اسم البابطين على كرسي اللغة العربية في جامعة اكسفورد

أصدرت رابطة الأدباء الكويتيين بيانا هنأت فيه الشاعر عبدالعزيز سعود البابطين، مؤسس جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري وعضو الجمعية العمومية لرابطة الأدباء الكويتيين، لمناسبة إطلاق اسمه على كرسي اللغة العربية في جامعة اكسفورد البريطانية الذي تأسس عام ١٦٣٦ ويعد أعرق وأقدم الكراسي في الجامعات العالمية.وقال أمين الصندوق في رابطة الأدباء الكويتيين خلف الخطيمي «إن هذا الإنجاز التاريخي يعد مفخرة للأدب الكويتي ودليلا واضحا على مكانة الأديب الكويتي».

وذكر أن الشاعر البابطين «رمز من رموز الأدب العربي وأحد الشخصيات الكبرى التي بذلت الجهد والمال في خدمة الثقافة الكويتية والعربية والإسلامية وهو نموذج مشرف لكل الأجيال وسفير أدب وحب وسلام".

وأضاف الخطيمي: «إننا في هذه الأيام المباركة، إذ نستذكر بكل فخر واعتزاز حصاد الأدباء الكبار، ونجدد اعتزازنا بحصول الشاعر الأديب فاضل خلف على وسام الاستحقاق من الجمهورية التونسية، وكذلك حصول الشاعر الدكتور خليفة الوقيان على جائزة القدس من اتحاد الأدباء العرب".

وختم الخطيمي: "يطيب لنا أن نتقدم ببالغ الشكر وعظيم الامتنان لمقام حضرة صاحب السمو أمير البلاد المفدى الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح وسمو ولي عهده الأمين الشيخ نواف الأحمد الجابر الصباح، إذ نثمن اهتمامهما المباشر ومبادرتهما الغالية

في تقديم التهاني والتبريكات لأدبائنا الكبار... آملين دوام التقدم والنجاح ومزيدا من الازدهار لكويتنا الحبيبة".

كما هنأ مجلس إدارة رابطة الأدباء الكويتيين الشاعر فاضل خلف بحصوله على الوسام الوطني للاستحقاق من الصنف الأول من الرئيس التونسي الباجي السبسي.

وشكرت أمينة سر الرابطة الكاتبة أمل عبدالله الرئيس التونسي على لفتته "الكريمة التي هي تقدير للكويت ولأميرها قائد الإنسانية ولشعبها الذي أحب تونس شعباً وأرضا".

وتقدمت "بأسمى آيات التهنئة والتبريك للأستاذ الشاعر الأديب الذي دوى اسمه كاتبا وغرد شاعراً الأستاذ: فاضل خلف. الأستاذ المعلم الذي أينما حل ترك بصمات لا تمحى. الرجل الذي حمل الكويت بين أضلعه وطاف بها مقدما صورتها المثلى خلقاً وأدباً وشعراً".

وأضافت أن فاضل "تغنى بتونس حباً وتكريما فما كان منها إلا أن تبادله الحب والوفاء ممثلاً بلفتة سامية أسبغها على شاعرنا الكبير سيادة الرئيس الباجي السبسي رئيس الجمهورية التونسية بمنحه الوسام الوطني للاستحقاق من الصنف الأول".

---

* نقلاً من جريدة الجريدة - جريدة الراي.

شعر



اللوحة بريشة الفنان محمد قمبر

الصحراء تُختصرُ فى بيت

(إهداء إلى الشاعر المختلف .. جاسم الصحيح)

د.سعيد شوارب *

أنت ياساحرٌ يُوَسْوِسُ للحِبْرِ فيغْدو أيْقُونَةً مِنْ ضِيَاءِ
كيف أدركتَ أن في الأبجديَّات حروفًا فِيمَا وَرَاءَ« اليَاءِ»؟
كيف تطهُو لكلِّ مَعْنًى مَجَازًا لم يقعْ في خَواطِرِ الشعَرَاءِ؟
تجعلُ الشعرُ قفْزةً،وانْزِيَاحًا بِتَخطَّى الآفَاقِ و«الألْفبَاءِ»
يَمْلأُ الأرضَ بالتَّلاوينِ ، حتى تتراءَى كالجنَّةِ الخَضْرَاءِ
تمنحُ الناسَ في«الجَمَالِ» ، « إقامَاتٍ»،تَقِيهِمْ تيبُّسَ الأعْضَاءِ
بُحْ بشيء قلْ كيف تُختصَرالصَّحْرَاءُ في منزلٍ مِنَ الصحراءِ
طحنتنا الترُوسُ في قسوةِ « العلمِ « ، وتُهنَا فى سعْينا للدَّوَاءِ
وغَدَوْنَا مثلَ التُّرُوسِ ، وخابتْ أمنياتٌ لأمِّنَا « حَوَّاءِ «
مِنْجَلٌ واحدٌ من«العلْم»كم يحصُدُ فى الأرضِ مِنْ مُنَى الفقراءِ
يَاتُرَى ألْفُ منْجَلٍ هلْ ستكفِي لتُعِيدَ ابتسَامَةَ الأشقيَاءِ؟
سوف تبقى الأشعارُ، لوهيَ عاشتْ لحظةً لحظةً بنهْرِ الفَنَاءِ
فإذا الحرْفُ عالَمٌ من بَهاءٍ من جديدِ الرُّؤَى ،جديدِ الرُّوَاءِ
وإذا الناسُ في الفضاءَاتِ رُوَّادٌ ، يعِيشُونَ رَوْعَةَ الأشْيَاءِ

---

* شاعر وأكاديمي مصري.

ليس إلا الأشعَارُ، هَرَّبَتِ النَّخْلَ لأرضِ الحقِيقَةِ الجَرْداءِ
قد مللنا الأوْرَادَ في «حضْرَةِ» الشيخِ ، وعدنا لمَا وراءَ الوَرَاءِ
كيف نمضى إليك ؟أرهقَنَا الطينُ ، فما السرُّ يا حفيدَ المَاءِ ؟
كم حسبنا أن قد تصحَّرَ نَبْعٌ فَإذا النِّيلُ قَامَ في»الأحْسَاءِ«
وإذا بالحروفِ قطعان سُحْبٍ وإذا المستحيلُ سِرْب ظبَاءِ
وإذا الشعرُ كالرسالاتِ نُورٌ جَاءَ للأرْضِ مِنْ هدايَا السَّمَاءِ
إنما الشاعِرُ العظيمُ إذْ يُلهَمُ وحْياً ، نَوْعٌ من الأنبيَاءِ
كيف أفضَتْ إليك عِرْسُكَ؟ إنَّا حَيَّرَتْنَا بكَارَةُ الأشيَاءِ .

البحرُ ألطفُ كائنٍ

محمود عثمان *

آنَستَ بحرًا كي تضمِّدَ جُرْحَكْ
وتعيدَ إثرَ دُجى الليالي صُبحَكْ

وَخَلعتَ حزنَكَ ساعةً ومضيتَ في
أملٍ لتصنعَ في بلِادٍ فرْحَك

فاستأنسَ البحرُ ابتهاجَك واستوى
أُمًّا تُهيّئُ في انتشائك رَوْحَك

والموجُ تحتك فصَّلَتْ شطآنُه
أرجوحةً رَاحَتْ تُدلِّلُ بوحَك

فركبتَ صهوتَه بقلب خائف
تَرنو وراءَك لا تصدقُ نزحَك

يبكي عليك البحرُ من وَقْع الأسى
فتزيحُ دمعتَه وقلبُك يضَحَك

دمع ابتهاجك سكرٌ في ملحه
لما ذهبتَ إليه تسفكُ مِلحَكَ

---

* شاعر مصري مقيم في الكويت

بيديكَ تقرعُ قلبَه فيضجُّ من
وجع عليكَ، وأنتَ تشهدُ ذِبحَك
منَ شدَّة الموج العتيةِ ينحني
هامُ الجبالِ وأَنت تنهرُ كدحَك

ويكادُ من كفَّيْكَ يهوي في الرُّؤى
زيتونُك المُدْمَى فتصرخُ: ويحَك

عدْ في سياجكَ برهةً متشبِّثًا
فغدًا بحقدهِمُ ستنشبُ رُمحَك

سَتجيء أرتالُ الهزيمة تنحَني
في راحتيكَ تَئِنُّ تطلبُ صَفحَك

×××

البحرُ ألطفُ كائنٍ يحنو على
(إيلان) فانفي يا خَليقةُ جُنحَك

ظَهْرًا لوجهك لا لأجل نكاية
لكن ليظهرَ في هدوءٍ قُبحَك

وأدرتَ نعليك اشتياقًا للجباه
ورحتَ في أملٍ تزينُ فِصْحَك

كلُّ الصُّروحِ الضَّاريات إلى العُلا
هدَّمْتَها وذَهبْتَ تُنشئُ صَرْحَك

شكرا وزير الإعلام



بقلم: طلال سعد الرميضي *

تعود الطيور الحالمة إلى النشاط مجددا في موطنها الكويت لتستعيد نشاطها وحيويتها وعطاءها في موسم ثقافي جديد مع أفكار هادفة تخدم المجتمع ، فتنطلق المشاريع الثقافية التي يقدمها الأدباء على هيئة ندوات و دورات و جلسات حوارية تعمل على نشر الثقافة والأدب بين الأوساط المختلفة بالمجتمع ومن أجيال متنوعة ، فبناء الوطن والمواطن ليست مسؤولية الدولة فقط إنما هي مسؤولية مشتركة ما بين المثقفين والدولة ، والمساهمات التي تبذلها رابطة الأدباء ضمن عملها التطوعي قائمة على الحب والعطاء والبذل وشعارها حب الكويت .

وحيث إن هذه الجهود الثقافية المبذولة تعتبر إضاءة في سياق الحراك الثقافي بالكويت يضاف إلى جهود السابقين منذ مئات السنين، و هذه الجهود النيرة إن لم تطلها وسائل الإعلام بالشكل اللائق ظلت محجوبة عن العامة بشكل أو آخر، وإن كانت الصحافة المحلية تبذل الجهد الكبير للتفاعل معها إلا أن الإعلام المرئي والمسموع أكثر تأثيرا ووقعا على المتلقي ، فقد كان التلفزيون شبه مغيب عن الفعاليات الثقافية التي تقام بالكويت ولا نجد التفاعل المناسب مع الحدث الثقافي الكويتي مقارنة بأقرانها من القنوات العربية التي تكثف من التغطيات الإعلامية وتفرد حيزا من بثها عليها بطريقة جذابة وتعايش الحدث مع المشاهد .

الثقافة ستظل معزولة ومقصورة على النخبة ما لم ترعها القنوات الإعلامية وتشرك كافة المشاهدين فيها ليتم تحقيق الهدف الأسمى ألا وهو خلق أجيال واعية تعمل على رفعة الأوطان وخدمتها بالشكل الإنساني المتحضر دون الخضوع للأفكار الهدامة التي تغزو المجتمعات الجاهلة وتعمل على خرابها .

ولا زلت أتذكر قبول معالي وزير الإعلام ووزير الدولة لشؤون الشباب الشيخ سلمان الحمود الصباح دعوة مجلس إدارة رابطة الأدباء الكويتيين لزيارة الرابطة في مطلع عام ٢٠١٤م ، ولقاءه المفتوح مع إخوانه الشعراء والروائيين والكتاب، هذا اللقاء الذي اتسم بالشفافية والمصارحة، وطرح الكثير من القضايا التي من شأنها تدفع الحراك الثقافي بدولة الكويت، ومنها موضوع غياب الإعلام الرسمي عن تغطية أنشطة الرابطة ، فوجدنا التفاعل الكبير من معاليه الذي شدد على هذا الموضوع وأوصى بتوجيه التلفزيون على الأنشطة الثقافية والعناية بهذا الشأن بالشكل التفاعلي لما فيه فائدة لاسم الكويت وتاريخها الأدبي العريق، فكان على أثرها التكثيف اللائق والمواكب للفعاليات بحيث يتعايش المشاهد معها ويستفيد منها .

كما نلمس التفاعل الكبير واللائق من قبل الجهاز الإعلامي مع أنشطة احتفالية الكويت عاصمة للثقافة الإسلامية لعام ٢٠١٦م بفضل توجيهات الشيخ سلمان الحمود الذي يحرص على كل ما من شأنه رفع اسم الكويت عاليا في كل المحافل والميادين ، فكل الشكر لمعاليه على حرصه الشديد على العناية بالثقافة والأدب في دولة الكويت الحبيبة.

---

* أمين عام رابطة الأدباء الكويتيين- رئيس التحرير.